الاسلام والمسيحية

في

لبنان

= تـــاليف =

هاشم الدفتردار المدني

محمد عـــلي الزعبي

تنبيه

في بعض فصول هذا الكتاب ، وردت تعابير قد يساء فهمها مثل « البناء القومي الاجتماعي » و « التفاهم القومي الاجتماعي » ...

فمنعاً لكل لبس وتأويل ، تجدر الاشارة الى ان هذه التعابير ليس لها مدلول سياسي عقائدي ، بل مدلول تاريخي واجتماعي .

الاسلام والمسيحية

في لبنـــان

تأليف الاستاذين

اسعد دفتر دار المدني   محمد علي الزعبي

الطبعة الثـــانية

مطبعة الانصاف ـ بيروت

الاهـداء

الى رجال الدين الذين يهدون الى الله بالمحبـة ، ويبشرون بالانبياء والانسانية والخير .

والى رجـــال السياسة الذين يربطون الشرق بالغرب برباط الثقـــة والمودة ، ويفتدون بأموالهم وانفسهم مصلحة الشعب والوطن .

والى رجال الاقتصاد الذين يعملون لنماء الانتاج الزراعي وامساك الفلاح في مزارعـه ، وتدريبه على الطرق الفنية الحديثة ، ليحولوا دون فراره الى تخمة المدن ، او الى التماس الحياة في المهاجر .

والى النزلاء من ابناء الصحراء العربية ، الذين هم طوالع الرسالة الانسانية ورواد خير وتفاهم وحب وسلام

والى قـادة الجيش الابطـــال ، الـذين اظلوا بارواحهم الغالية سماء هذا المصيف الفتان ، ليبقى لبنان موطن الطمانينة والسلام والسعادة والاستجمام والخير .

بيـــان

نلفت أنظار قراءنا ، قبل شروعهم في تلاوة الكتاب ، وإنعام النظر فيه ودرسه ، أو تقليبه طولا وعرضاً ، الى ان قراءة فقرة او فقرات ، او النظر في بعض اسطر من هذا الفصل او ذاك ، لا تكفي لكشف مثل الكتاب الانسانية العليا . اذ قد تكون الفكرة في ناحية مطلقة . ولها قيودها واتجاهاتها في ناحية اخرى ، وقد تساق القصة أو الشاهد لمناسبة عابرة ، ولكن لا دخل لها بمثل الكتاب الخاصة ، او لعلها توضح فكرة خفية لدى اناس ، وتكون غير ضرورية لدى آخرين . وكم من قارىء يود ان يستوعب جميع مثل الكتاب ، في بعض ما قرأ منه في وسطه او اوله او آخره والاخلق به ان يلتمسها في مجموعه .

اذاً فمجرد فتح الكتاب للتسلية هنا وهناك ، ثم يطبق بعد ذلك ، وتعطى الاحكام جزافـاً ، والظنون سبهللا ، لا يكشف قليلا او كثيراً من مثله . واغرب قارىء الذي اذا احب الكتاب ، بناه على اشياء حميدة كبيرة ، لعلها لم تكن في حسباننا ، واذا ابغضه ذمه مختلقاً . والذنب في الحالين ذنب – باقل – الذي مر بجماعة يذمون شخصاً فشايعهم ثم مر بآخرين يحمدون شخصاً ، فحمده وبالغ ، وحين سأله بعض معارفه لم ذم وحمد ؟ قال : لا أدري !! ولكن رأيت الناس يفعلون ذلك ففعلت . وكل المقصود من بياننا ، ان لا يقدم على قراءة كتابنا هذا ، الذين لا يملكون الجلد في سبيل العلم والمعرفة ، خشية سوء فهمهم ونظرهم القصير

المقدمة

كل الاهبة التي نريد ان يذخرها شباب لبنان المثقفين حين دراستهم كتابنا هذا ، هي ان ينظروا بعقـل محرر واع . مؤثرين مصلحة الشعب اللبناني ، ايثار آبائهم من قبل وإنا نقدم له كل ما في انفسنا من حماسة صادقة ، وايمان بالله والعلم ، لتأييد واقع المعرفة ، والحق والفضيلة والخير ، نقدمها في شتى بحوث هذا الكتاب ، متقيدين بما وضعناه بين يديه في هذا التمهيد ، من اصول اساسية ، لا ننفك عنها ، وهي بمثابة الدستور لكل ما نأخذ او ندع :

١ ــ اننا في هذا الكتاب ، لا نحترم المسيحي او المسلم ، مهما كان مذهبه ، الا اذا كان مؤمنا بأصول دينـه اليقينية ، التي كانت منذ مطلع فجره ، ايمانا عمليا صادقا مـن اعماق قلبه ، ايمـانا له الهيمنة والسلطان ، على توجيه غرائزه وعواطفه وامياله ، توجيها يرضي الله ويقر اعين الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم ، ويسعد الامـة والانسانية .

اذاً ، فالمسيحي الذي يتقيـد بتعاليم سيدنا المسيح ، ويتخذها دستوراً ، ويهتدي بهدي الرسل واخلاصهم وجهادهم ، وحبهم الاكيد لخير الانسانية وسعادتها ، وتضحيتهم بانفسهم

وما يملكون في سبيل الله ، هو الذي نحترمه مــن اعماق قلوبنا ، ونجد به انسان لبنان ، الذي يسمو به دينيا وقوميا واجتماعيا ، ويمثله تاريخيا اروع تمثيل . والمسلم الذي نحترمه من اعماق قلوبنا ، ونجد فيه الخير والمجد للبنان وشعبه ، والاخلاص والتقدم ، والصدق في حسن التفاهم ، والنبل في طلب الامجاد العامة ، والسعي المشترك في بنــاء المستقبل المجيد ، هو الذي يتقيد بكل اعماله وتصرفاته ، بمثل القرآن المجيد العليا ، وتعاليمه الانسانية ، وبما جاء في السنة النبوية من خير وهدى ... فاذا رأينا المسيحي او المسلم ، لا يتقيد بما ذكرنا ، ولا يبالي ولا يكترث ، فانا نبتهل الى الله ، ان يلهمه ما فيه خير الدارين ، لنفسه واسرته وشعبه وبلاده والانسانية ، وان كنا نعلن لابناء الشعب اللبناني جميعه ، انه ليس من الذين يعملون لخير الجميع وسعادة الجميع ، وتوحيد كلمة الجميع بايمان وصدق وتضحية ومفاداة ، على اننا لم نكتب هذا الكتاب ، ونسهد في تحريره الليــالي الطوال ، الا لهذين الفريقين المؤمنين ، اذ هما جناحا لبنان ، اللذان بدونهما لا يستطيع ان يحلق في اجواء السلام الآمنة ، وآفاق المحبــة والاخلاص والتفاهم مع الشرق والغرب

٢ ــ موقفنا من الماديين

نحن ــ والحمد لله ــ مؤمنون بالله وكتبــه ورسله ، واليوم الآخر ، وواقع المعرفة والحب الانساني العام ، فكل كلمة تناقض هذه الاهداف فانا براء منها ، نطلب الى

المطالعين الافاضل ان يرشدونا اليها ، لنعدل عنها حالا ، ما دام هدفنا الاول والاخير ، من وضع هذا الكتاب ، هو دفع التهمة التي يلصقها بالاديان الماديون المتطرفون ، زاعمين بانها هي الـتي مزقت الشعب اللبناني ، والقت بين ابنائه الفتن ، وان كنا لا نعتقـد ان في لبنان ماديين متطرفين ، بالمعنى المتعارف لدى الماديين الوجوديين في اوربا . لان بواعث الايمان قوية في اعماق وراثات الشرقيين ، ولان الشرق مهبط الوحي وموطن الانبياء . ومهما تغلغلت الدعايات المادية الوجودية بخدع السطحيين ، الذين يخيلون للاحداث انها تحمل الاعماق الاعماق مـن واقع المعرفة ، فانما هم يدركون لدى نضوجهم ، انها غثاء يطفو على سطح الفكر بالنسبة لحقائق الوجود العليا . أجل هي غثـاء اوهام ، يجذبون به الاحداث ، اذ يوحون اليهم بما يأتي :

«آ» (الوجودي هو الذي ينظر في الواقـع الوجودي بين يديه) ومتى كان النظر في الواقع الوجودي الكائن ، ينفي الموجد المكوّن ، والنظر في واقع الوجود للاهتـداء من اصول الاديان السماوية القطعية « قـل انظروا ماذا في السموات والارض ، وما تغني الآيات والنذُر عـن قوم لا يؤمنون » (١) « قـل سيروا في الارض ، فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ، ان الله

---

(١) يونس ١٠١

على كل شيء قدير » (١) « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ، أوَلم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (٢)

« ب » الوجودي هو الذي له اغراض بعاد ، ونفسية منطلقة وعقلية محرّرة ... وهذه صفات فرضتها النصوص الدينية لتكون طريقاً للاهتداء الى واقع المعرفـة والايمان ومن هنا كان التظاهر بالفكر دَيدَن هؤلاء الاحداث ، حتى اذا اجتمعوا في موطن رأيتهم يتسابقون في الجحود متهمين بعضهم بعضاً بالاوهام والاطمئنان اليها ، ليظهر كل واحد لجليسه انه هو وحده صاحب الاغراض البعاد ، وهنـا يطاول رأسه منشداً ما انشده ابو العلاء المعري :

كأني في لسان الدهر لفظ تضمنَ منه اغراضاً بعادا
يكررني ليفهمني رجال كما كررت معنى مستفادا
ولو ملأ السهى عينيه مني أبر على مدا زحل وزادا

ولما كان اكثرهم لا يلم بالمعارف العميقـة ، وحقائق الوجود العليا ، فكل الاغراض البعاد التي ينوهون بهـا ،

---

(١) العنكبوت ٢٠ اذ معلوم ان معرفة بدأ الخلق لا تكون الا بدراسة الخلق دراسة علمية مستوعبـة كما عرفوا ان الارض في بدئها كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت

(٢) فصلت ٥٣ والمقصود رؤية العلم وهي التي تكون في المستقبل ، اما النظر البصري فهو كائن . ولا يحتاج لأجيلا

هو انكارهم وجود الله واليوم الآخر ، والرسل والوحي وآداب الانسانية العليا ، اي ما كان ينكره سذج جاهليات الامم.

وقصارى القول ، ان اخوف ما نخافه على مجد لبنان وسعادة لبنان ، بل على كل شعب من شعوب العرب ، هو المادي المتطرف الذي يردد المذهب الوجــودي كالببغاء وهو لا يعلم منه الا نيل اللذة الجسمية او الانتحار او جحود كل شيء . وما تفشت اوباء المذاهب المادية التي تتهم الاديان بتفرقة شعوب الشرق ، وبلبلة افكارهم . ، وتهديد كيانهم الا منذ اوائل هذا القرن ، والا فالشرق موحــد بالاديان منذ أطل عليه سيدنا ابراهيم الى اليوم .

على ان الاديان لو انزلت على الوحوش الكاسرة ، والذئاب النافرة ، لجعلتها تعيش عيشة الحملان في اخاء ومودة ! وهكذا اصبحنا نرى في شتى المؤلفات امثال هذه الكلمات السطحية الواهمة ، بل المجرمة الهدامة :

الخــير كل الخــير في هدم الجوامع والكنائس
والشر كل الشر مــا بين العمائم والقلانس

وسوى ذلك من كلمات متجاوزة حد الادب ، تطعن الايمان بالله واحترام قداسة الرسل واتباعهم ، وقد ترفعنا عن ذكرها ، لان قراءنا يكتفون بالتلميح .

والذي نود اعلانــه الآن ، ان الوحــدة الاجتماعية الوطنية الصادقة ، يستحيل ان تقوم على ركائز الالحاد الواهنة بل يستحيل ان تخلص النوايا بين نفسين ملحــدتين ، اذاً

فالدعاية الالحادية من اجل بناء الوحدة الوطنية ، جريمة منكرة ، والدلائل النفسية واضحة ، ومن منا لا يعلم ان التدين غريزة ؟ وليس في مقدور البشرية جمعاء ، القضاء على الغرائز ، وما يدور بين الملحدين من كلمات جارحة في حق الاديان ، انما هو تظاهر خداع ، حرصاً على لقب المفكر والفيلسوف والحر والمنطلق !! وإلا فالتدين كامن على الرغم منهم ، في الاعماق من مجموعاتهم النفسية ، وكم يأخذك العجب حين ترى قضاياهم معكوسة . قل لهم : ان هناك نساكاً قضوا على غريزة الميل الجنسي ، واعتكفوا في الصوامع وانظر اليهم يهزون رؤوسهم ساخرين قائلين : هي في كبت ، سر بؤلئك النساك حول شواطيء البحار والمنتزهات العامة ودور السينما ... لتعلم ان الغريزة في كبت . اي يعرفون كبت الغريزه في سواهم ، ويجهلونه في انفسهم ، كذي العين الواحدة ، يرى ناحية ولا يرى الاخرى !

والواقع ان البناء القومي الاجتماعي ، لا يمكن ان يقوم الا على فهم مُثل الاديان الانسانية العليا ، فهماً صحياً يعين واقع المعرفة ، واقرب مثل ندليه لهؤلاء المتطرفين ، قصة الفيلسوف الذي ريض غرائز الهررة سنين طويلة ، حتى جعل في استطاعتها ان تمسك الشموع ! وحين اراد ان يثبت ذلك عمليا ، امام كسرى ، وقد انكر عليه ذلك فيلسوف آخر ، مثبتاً ان الطبع فوق التطبع ، وان انفعال الغرائز محال ان يمحق من اصل الفطرة ، اطلق المنكر

حيال تلك الهررة بعض الجراذين ، فالقت الشموع وتواثبت خلفها ! وتنادى صوت العـلم : قوى الغرائز لا تمحق ، قوى الغرائز لا تمحق . وهكذا تنادي اولئك الماديين : ان التدين غريزة لا تمحق ، فشيدوا بناء وحدتكم الاجتماعية على فهم الاديان فهما صحيحا ، واذاعة المؤلفات القيمة عنها بين ابناء الامة ، واضربوا على ايدي الملحدين ، مع الاحتفاظ بحرية النقد والبحث والعقيدة ، اي الحريات التي اوجبتها اصول نصوص الاديان : « لا اكراه في الدين قـد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقـد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لهـا والله سميع عليم » (١) « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً ، أفأنت تُكـره الناس حتى يكونوا مؤمنـين » ؟ (٢) « فذكر انما انت مذكرٌ ، لستَ عليهم بمسيطر ، الا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الاكبر ، إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم » (٣) « من ليس علينا فهو معنا » (٤) « وان سمع احد كلامي ولم يؤمن فانا لا ادينـه ، من رذلني ولم يسمع كلامي فله من يدينه » (٥) . .

أي عليكم أن تعيشوا اخوة ، وتحاسبوا بعضكم على

---

(١) البقرة ٢٥٦ (٢) يونس ٩٩ (٣) الغاشية ٢١ ــ ٢٦ (٤) مر ٩ ــ ٤٠ ولو ٩ ــ ٥٠ (٥) يو ١٢ ــ ٤٧ و ٤٨ والطاغوت كل ما عبد من دون الله من اشياء العوالم المادية والمعنوية

الاخطاء الاجتماعية ، اما حساب العقائد فهو لله وحده ؛ ومحكمته في الآخرة ، وان لم تفعلوا داهمتكم المغالاة الممقوتة باسم الدين والفهم السيء على غرة ، فانفجر بركان التدين المكبوت المقلوب ، ومزق شمل ما شيدتموه الاعوام الطوال في ساعة واحدة .

ورجاؤنا الى المخدوعين بالظواهر المادية في اوربا واميركا ان يكفكفوا من غلوائهم . وان لا تغرهم زخارفها وزيناتها اذ تُخفي احقاد المادة ، وتكايدها الجهنمي المستتر ، ونهم اطماعها غير المتناهي ، واهواؤها المتباينة المتحاجزة ، واهوال عددها من قنابل الذرة والهيدروجين والغازات الخانقة والاوبئة الفتاكة ... فيه الدلائل الكافية ، على ان تلك الزخارف والزينات المادية الظاهرة ، لا قوام لها من روح السماء الخالدة بتاتاً ، وانما تقوم على شفا جرف هار ؛ وما هو منتظر ان يكون من تعلقهم بها ، حسبنا ان نفهمه من الآية التي جاءت في القرآن الكريم « انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام . حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها ، اتاها امرنا ليلا او نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (١)

---

(١) يونس ٢٤ وهذه الآية لم تفسر بعد ، نظراً لدلائلها ـ

ها نحن اولاء نرى ان كلا من الشام ولبنان (١) قد سلخا ما ينوف على نصف قرن ، لاجتماع كلمة شعبيهما باسم الوطنية والقومية ، بدل الروح للدينية ، التي كانت تجمعهم جميعاً من قبل وتؤلف ذات بينهم . ومع ذلك نجد التكتل الطائفي (٢)

ـ المستقبلة واشاراتها بان الارض ستأخذ زينتها وزخارفها المادية التي لم تسبق بمثيل ، وحينئذ يظن اهلها انهم قادرون على تصرفها كما يشاؤون ، قاطعين علاقاتهم بالعمل بروح وحي الله ، غير مكترثين لتخليه عنهم ، هذا اذا لم يجحدوا وجوده .

(١) لبنان كلمة سامية عربية عريقة في قواميسنا ومعناها الابيض كاللبن ، اما سورية فيونانية محرفة عن الكلمة الآشوريه السامية وكان اطلاقها في الاصل على شمال الشام فحسب، ثم توسع الرومان في مدلولها فجعلوها ترادف كلمة الشام ، لان الشآم بمعنى النظر والارتفاع ، ومنه الشامة اي الخال التي تعلو الوجه، وهكذا آرام في العربية بمعنى الارتفاع كالشآم ، وبما ان المهاجرين العرب القدماء نزلوا بلاد الشام المرتفعة بالنسبة لجزيرتهم ، اطلق على مواطنهم الجديدة (آرام وشآم) لارتفاعها ثم تناولهم الاسم فقيل « آراميون » وقيل اطلقوا عليها شام لوقوعها شمال جزيرتهم ، وسيأتي هذا البحث مفصلا في فصل « منازل انسان لبنان »

(٢) ان التكتل الطائفي الذي يقصد منه الاستمساك بالدين والتقيد بتعاليمه والسير على هداه وتسامحه ، هو الذي فقدناه ولعودته جاهدين ، واما التكتل الطائفي الذي يقصد منه الاضرار ـ

المتباغض ، المزور باسم الدين في كلا الشعبين على اشد ما يكون قوة وجبروتاً ، فلو انهم انفقوا بعض هذا الزمن ، في الايمان بالله والفهم الديني الصحيح ، واذاعة روحه الاجتماعية السامية في الدور والنوادي والمدارس ... لرأيناهما شعبين متفاهمين تفاهماً قومياً اجتماعياً نبيلا ، فيه كل الثقة والتضحية والاخلاص ، اذاً فخير وسيلة لشباننا المصلحين الاجتماعيين اذا ارادوا ان يكونوا شعوبهم تكويناً اجتماعياً يفوق الشعوب المثقفة الحيـــة « كسويسرا » مثلا ان يعملوا للرجـــوع الى روح الاديان ، كما هي في منابعها الاولى ، والتقيد بتعاليمها فانهم حينئذ يظفرون بلا ريب بكل امنياتهم الاجتماعية .

واما الدعوة الباطلة والاذاعة الكاذبة المجرمة التي تزعم ان رجال الدين لا يريدون ذلك بحجة انهم يستغلون التفرقة ولا يتكلمون الا عن العالم الثاني ، ويجهـــلون مثل الدين الاجتماعية العليا ، اي القدر المشترك المسطور بين ايديهم ... فهـــو محض افتراء ، ها نحـــن اولاء نسمع مواعظهم في الكنائس والمساجد والنـــوادي والمجالس الخاصة والعامة ،

ـ بالناس وتمزيق الكلمة ، وهدم الوحدة الاجتماعية ، وبث الاحقاد والعداوات ، فهو الذي نحاربه وندعو الشبان لمحاربته والقضاء عليه لان الدين ورجاله لم يحاربوا سواه ، وسترى ذلك موضحاً في فصول « الطائفية والدين ، التعصب والمغالاة ، خصومات لبنان وثوراته الطائفية »

ونرى كتبهم وصحفهم ، فلا نجد الا ما اقتبسناه لهذا الكتاب من الروح الطيب القدس .

نعم لا ننكر ان هناك اشخاصاً يحملون البسة رجال الدين وعمائمهم وقلانسهم والقابهم ، ولكنهم لا يحملون عقولهم النيرة ، ومعارفهم العميقة ، وقلوبهم المؤمنة ،واصلاحهم الكريم ، مندسين في الاوساط باسم رجال الدين ، ليس لهم من عمل سوى اثارة الفتن وبث الاحقاد بين ابناء الدين الواحد ، فضلا عن ابناء الاديان السماوية وسواها . وقد اختلط الامر على الكاتبين بين رجال الدين ، وبين هؤلاء المنافقين المرتزقة الممزقين ، فحملوا على الدين ورجاله الابرار ، من جراء هؤلاء تلك الحملات النكراء المسطورة في مؤلفات أمثال ، جبران ، وسلامة موسى ، وطه حسين ، والزهاوي ، والعقاد ، وحسين رحمي ، ويني سينكل ، ودوان ... وما كان سبب لعميمهم في حملاتهم على الاخيار والاشرار معاً ، الا عدم اطلاعهم على ما جاء في الانجيل والقرآن من حملات خاصة موجهة الى المفسدين الاشرار وحدهم « احذروا من الكتبة الذين يرغبون المشي بالطيالسة ، ويحبون التحيات في الاسواق والمجالس الاولى في المجامع ، والمتكآت الاولى في الولائم الذين يأكلون بيوت الارامل ، ولعلة يطيلون الصلوات ، هؤلاء يأخذون دينونة اعظم » (١) « ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تشبهون قبوراً مبيضة ، تظهر

(١) لو ٢٠/٤٦و٤٧

من خارج جميلة ، وهي من داخل مملوءة عظام اموات » (١) « الانسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ،والانسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فانه من فضلة القلب يتكلم فمه » (٢) « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ، ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون » (٣) « ولا تطيعـوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون » (٤) « يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون » (٥) « واذا قيل لهم : لا تفسدوا في الارض ، قالوا : انمـا نحن مصلحون » (٦) « أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولو الالباب »

وقد تنبـه الفلاسفة والمفكرون لاضرار اولئك المندسين بقسميهم ، اغبيائهم واذكيائهم ، فقـال (سبينوزا) عن الاغبياء : « سيبقى ضررهم ما دام الجهل موجوداً » وقال « غاندي » عن الاذكياء « كم يخيفني الشيطان حين يأتي ذاكراً اسم الله »

اجل ، خـال اولئك الكتاب المتعجلون ، ان كل من يلبس شعار الدين وينهى ويأمر باسمه ، لا بد ان يكون في

---

(١) مت ٢٣ ـ ٢٧ (٢) لو ٦ ـ ٤٥ (٣) البقـرة ٢٧
(٤) الشعراء ١٥١ و ١٥٢ (٥و٦) البقرة ٩و١١

علمه وفهمه لروح الدين الاجتماعية مثل محمد عبده (١) ومحمد حسين آل كاشف الغطـاء (٢) وابي الحسن الندوي (٣) وعبد الله التنوخي (٤) وعبد الكريم الزنجاني (٥) وعبـد القادر الجـزائري (٦) والقديس مـارون (٧) والبطريرك غريغوريوس (٨) والقـديس يوحنا الدمشقي (٩) والمطران الدبس (١٠) واسقف كانتربري (١١) والاب بولبي (١٢)

(٣) انا لا نقتبس في ما نكتب الا الجيد الحسن ، ولا نكتب الا بعد التفتيش في اعماق الكتب والتجربة في كل

---

(١) مفتي الديار المصرية توفي عام ١٩٠٥

(٢) مجتهد النجف الاشرف ، معاصر

(٣) علامة باكستاني معاصر

(٤) شيخ الموحدين المشهور ومشيد مساجد الشوف متوفي في عبيه عام ٨٨٤ هـ

(٥) عالم نجفي معاصر

(٦) متوفي بدمشق عام ١٣٠٠ هـ

(٧) متوفي عام ٤١٠ م

(٨) بطريرك القسطنطينية الذي سعى لمـزج كنيسة الشرق بكنيسة الغرب حباً بجمع الكلمة توفي عام ١٤٥٢ م

(٩) توفي عام ٧٤٨ م

(١٠) توفي عام ١٩٠٧

(١١) رئيس اساقفة لندن ، معاصر

(١٢) مدرس الحقوق في باريس ، معاصر .

شيء ، ولن نقدم للناس ابداً الا الخلاصة النيّرة المجربة التي بها كل السعادة للانسانية ، ومن اجل هذه الغاية النبيلة ، نتعمد جهدنا التماس الاعذار عن غلطات الكاتبين واساآتهم مع بيان الحقائق برفق ومودة وحسن نية .

(٤) امتنا هي الامة الانسانية ، فاذا رأى قراؤنا اننا نكتب عن اية جماعة ، فانما نكتب باخلاص معتقدين ان سعادتها سعادتنا ، سواء كانت تلك الجماعة شرقية اوغربية،عربية او اعجمية ، ولولا ايماننا بما اوحى الله واقتداؤنا برسله ، — صلوات الله وسلامه عليهم — ما كنا كذلك ابداً

(٥) نحن لا ننكر ان القلم قد يشط احياناً عن واقع المعرفة ، ويشهد الله لن يكون ذلك منا عن نية او تصميم لان لعنة الله والاجيال والعلم ، تنصب على الذي يحاول ذلك او يقصده ، ونؤكد ثانياً للمطالعين الذين يظفرون بشيء من ذلك ان ينبهونا حالا ، والا كانت المسؤولية من الله عليهم.

(٦) ان كتابنا هذا سيشرح لابناء الشعب اللبناني ما اذيع بين طوائفه من اخطاء فظيعة ، لا تنتسب الى واقع المعرفة ، وان اذاعها بعض الاحداث ، لذلك تعمقنا جاهدين دراسة تاريخ الشعب اللبناني في اوثق مصادره فالفيناه تاريخاً حافلا بالامجاد والانسانية والخير والسلام ، منذ هجرة الفوج الكنعاني الاول من جزيرة العرب الذي سبق التاريخ

الى يومنا هذا . وما يجده القراء هنا وهناك من احقاد وضيعة تذاع باسم الدين ان هي الا نفثات شيطانية لا يعود تاريخها لاكثر من قرن واحد ، كما يجد ذلك قراؤنا موضحاً في بحوث هذا الكتاب

(٧) قد بنينا ابحاثنا على صدق الصراحة في كل شيء ليفهم اللبنانيون بعضهم بعضا ، اي ليفهموا انهـم اخوة لحمـاً ودماً ووطناً ولغة ومصلحة وليفهموا ان التكتم في ما بينهم لا تغتفره الاديان السماوية التي يؤمنون بها جميعا ، ولا يرضى الله عنه ، لانه يورث الرياء الذي يفسد مساعي الخير . من اجل ذلك قال سيدنا المسيح ، حين رأى الفرّيسيين يتآمرون بالكتمان ويظهرون بالمودة ، مخاطبا تلاميذه واتباعه ، لكي ينهجوا الطريق العملي الخيّر الذي بينه لهم وفرضه عليهم ، حتى يكونوا صرحاء مخلصين . يحملون قلوب الاطفال وعقول الحكماء « تحرزوا لانفسكم من خمير الفرّيسيين الذي هو الرياء ، فليس مكتوم لن يستعلن ، ولا خفي لن يعرف ، لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يسمع في النور ، وما كلمتم بـه الاذن في المخادع ينادى به على السطوح » (١) كما ان القرآن المجيد حمل على هؤلاء المرائين الذين يحملون السنة رطبة تسيل عذوبة واصلاحاً ، وقـلوبا سوداء ، تحمل الشر والفساد والنوايا السيئة ، حتى اذا تولى احدهم امراً من امور العباد اهلك الحرث والنسل ، غير حافل بنصح الناصحين ، والتذكير

---

(١) لو ١٢ـ٢

بمؤاخذة الله « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له « اتق الله اخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد »

والخلاصة التي نفهمها من النصوص التي جاءت بها الاديان السماوية ، انها ترشدنا الى ان المرائين المفسدين ، محال ان يتم على ايديهم اصلاح تنتفع به الجماعة « ان الله لا يصلح عمل المفسدين »

هاشم دفتردار المدني　　　　محمد علي الزعبي

انسان لبنان قبل التاريخ

١ ـ وجد منذ ٣٠٠٠ قرناً ق.م

عُرف الانسان القديم في لبنان ، منذ ثلاثين الف عام ق م ، اذ عثرت البعثات المنقبة في مغاور انطلياس ، على هيكلين بشريين يعودان الى ذلك التاريخ (١) ولا يُدرى من اين كان مجيء هذا الانسان ، ولا ما كان منه ، بيد ان الاثريين ، يعتقدون ان هجرات انسان لبنان قبل التاريخ جلّها من جزيرة العرب .

٢ ـ الفوج الكنعاني الاول

وكذلك اكتشف علماء الآثار ، ان هجرات كثيرة متتابعة ، قامت من جزيرة العرب الى هذه المناطق ، مصر العراق . سوريا . لبنان . فلسطين ـ قبل ازمنة التاريخ وبعده ، واقدم هذه الهجرات المكتشفة الى اليوم بالنسبة الى لبنان ، هي هجرة الفوج الكنعاني الاول ، الذي هو قبل زمن التاريخ ، كما حققه المؤرخ الانكليزي الشهير

---

(١) راجع مقال للاب يوسف نصر الله في مجلة المجمع العلمي بدمشق عدد تموز ١٩٤٩ ـ رمضان ١٣٦٨ ص ٣٨٥

« فيليب فان » (١) ورئيس المجمـــع العلمي بدمشق العلامة محمد كرد علي (٢) والمؤرخ الاندلسي احمد بن صاعد (٣) والامير موريس شهاب مدير دار الآثار اللبنانية (٤) وقد ظن بعض الباحثين ، ان الدكتور فيليب حتي ، يجهل هجرة الفوج الكنعاني الاول ، والذي نعتقده ، ان علامتنا البحاثة حفظه الله لايجهل ذلك ، وانما اقتصر بحثه على انسان لبنان بعد التاريخ ، لذلك لم يأت على ذكر الفوج الاول ، على انه يعلم تمام العلم ، ان مدينة بيروت ، يرجع تاريخ تأسيسها الى الالف الرابع قبل المسيح ، واسمها قيل من الآراميـــة او الكنعانية او الجرجاشية (٥) ـ فخذ كنعاني ـ وهذا يدل دلالة واضحة ، على ان هذا الفوج كان موجوداً في الساحل ويؤسس مدناً قبل الالف الثالث قبل المسيح ، والمعتقد ان حياة هذا الفوج ، كانت من الناحية العمرانية لا بأس بها ، اذ وجد الاثريون لهم مدناً يعود لتاريخ تأسيسها للقـــرن الخامس والثلاثين قبل الميلاد (٦) وان كان بعضهم يقطن الكهوف والمغاور ، كما ان الحال تطور بهم اخيرا حتى

---

(١) راجع كتابه ، التاريخ العام الطبعة العربية ص ٣٣ ـ ٢٥

(٢) راجع خطط الشام ١ ـ ٧٧ (٣) راجع كتابه طبقات الامم ص ٣٧ نشر مجلة المشرق .

(٤) و (٥) راجع المشرق ٢٧ ـ ١٩٤ و ٥٣٥ (٦) المشرق ٢٣ ١٢٦

وصلوا الى اكتشاف النحاس ، ومعرفة صنع الخزف ، كما وجد ذلك في الجرار التي تحفظ رفات موتاهم ، وترجع الى ٣٣ ـ ٤٠ قرنا قبل الميلاد ، ومن اجل ذلـك نسبوا الى النحاس . وقد اطلق على هذا الفوج بعد خروجه مـن جزيرة العرب ، اسم « كنعانيين » اشتقاقاً من كنع وخنع وخضع (١) بمعني انخفض ، لنزولهم في الاراضي المنخفضة من سواحل البحر الابيض المتوسط ، وهو اشتقاق تجده في جميع اللهجات المنبثقة عن اللغة السامية الام ، ولا يزال يطلق الى اليوم على قبائل قحطانية تخيم في غور بيسان ، وتدعي كنعانيـة لنزولها به (٢) ويقابل هؤلاء الساميين الذين هاجروا من جزيرة العرب ، ونزلوا في الارض المنخفضة وسموا بالكنعانيين ، اخوانهم الساميون الذين هاجروا من جزيرة العرب ، ونزلوا في المواطن المرتفعة وسموا بالاراميين اشتقاقا من ارم بمعنى ارتفع ، اذ نرى قـاموس الكتاب المقدس (٣) يفسر آرام بالارض العالية ، كما نرى في القرآن الكريم « الم ترى كيف فعل ربك بعاد ارم ، ذات

---

(١) اثبت هذا الاشتقاق الامير شكيب ارسلان وعيسى المعلوف و الدكتور حتي ، راجع الموجات البشرية ص ٣٧ والقطوف الدواني ص ٤٧ ويوبيل النهضة اللبنانية ص ٤٩

(٢) راجع تاريخ شرق الاردن للمؤرخ الانكليزي بيك ص ٣١٣

(٣) ١ ـ ٥٧

العماد » (١) اي عـــاد الآرامية ذات الامجاد المرتفعة في الحضارة والمدنية .

وقد حاول صغار المؤرخين ، ان يطعنوا شرّاح العهد القديم ، حيث عينوا زمن مولد نوح جد الكنعانيين والآراميين الساميين ، بما ثبت انه بعد هجرات الكنعانيين والاراميين ، من جزيرة العرب بقرون ، وفاتهـــم ان اولئك الشراح لا يقصدون تحديد الزمن ، وانما تقريبه فحسب ، كما لا يقصدون ان كنعان اسم لشخص واحد ، اذ نعلم ان الاسماء قديماً ، تطلق احياناً على الجماعة ، واحياناً على الواحد ، فقريش عَلم على القبيلة ، وكنعان عَلم على القبيلة .



---

(١) سورة والفجر ٦و٧

انسان لبنان بعد التاريخ

٣ـ الفوج الكنعاني الثاني ٣٠ قرناً ق م

يعتبر الفوج الكنعاني الاول ، رائد الهجرات الكنعانية ، بالنسبة للبنان ، اما الفوج الثاني الذي عرف باسم « فينيقيين » (١) فقد وجد اخوة مهدوا له سكنى هذه البلاد ، وهو الناهض بمعالم الحضارة اللبنانية الاولى ، ومشيد عمرانها ، وفاتح ابواب الهجرات السامية العربية ، على مصراعيها ، اذ استمرت وفوده تنتجع هذه البلاد ، طوال خمسة قرون ، ابتدأت منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد ، وانتهت في القرن الخامس والعشرين قبله ، وقد حقق ذلك العلامة المؤرخ الدكتور حتي (٢) وإنا نجد كبار علماء التاريخ والآثار ، قديما وحديثا افاضوا في ذكر جماعات هذا الفوج ، وكبير آثاره ، وجليل اعماله ، وازمان هجراته ، لما عينوا موطنه الاول وآثاره فيه

(١) كلمة يونانية تعني الاحمرار او كثرة النخيل ، تطلق على الكنعانيين والآراميين في ساحل الشام وداخله ، كما حقق ذلك الدكتور حتي في « يوبيل النهضة اللبنانية » ولا نظن هذا الاطلاق يعود لقبل القرن الثالث قبل الميلاد ، راجع دواني القطوف ص ١٠١

(٢) راجع يوبيل النهضة اللبنانية .

فهذا الاثري المنقب الكبــير « أرنو Arno » يذكر انــه وجد عشتروت آلهة الفينيقيين الكنعانيين ، في وطنهم الاول من جزيرة العرب ، اي وجدها في الآثار الحميرية (١) ، وقد وجدت حديثا في الآثار الكلدانية ، اذ نقلها الكلدان لدى هجرتهم من جزيرة العرب في الازمان السحيقة للعراق ، اذن لقد نقلها الكنعانيون الفينيقيون منــه الى لبنــان فيما بعد (٢) وهــذا الرحالة الجغرافي اليوناني « سترابون Strabon » ، يذكر انه رأى بأم عينه في القرن الاول للميــلاد ، آثار الفينيقيين في البحرين واضحة ، اي رأى مدينتي صوروارواد(٣) اما جبيل فلا تزال آثارها في البحرين موجودة الى اليوم ويذكر «سترابون» ان اهل هاتيك المدن حدثوه عن رحلات اسلافهم الى سواحل للشام ، وهــذا يؤيد ما ذكره الرحالة اليوناني الشهير « هيرودتس Hirodts » قبله بأربعة قرون ونصف (٤) اذ ذكر انه حين زار فينيقيا ، ودخل هيكل « بعل ملكرت »

---

(١) راجع تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي ص ٢٤١

(٢) وقد نقلوا حضارة بابل لا سيما الموازين والمقاييس راجع خطط الشام ١ ـ ٧٦

(٣) راجع كتابه الجغرافي فصل ١٦ ص ٤٣ وخطط الشام ١ ـ ٥٨

(٤) راجع ترجمة هيرودتس العربيــة لحبيب بسترس طبع بيروت ١٨٨٥

سأل الكهنة والعلماء عن موطنهم الاول ، فذكروا له البحرين وذكر المؤرخ الفرنسي « ليرشي Lirchy » في ترجمة هيرودتس انه كان يحرص اذا تحدث عن جماعة ، ان يحقق اصلها وموطنها الاول (١)

وقد حقق العلامة « فرنسيس لنورمان F. Lenormand » ان الروايات التي اطلع عليها هيرودتس في مدينة صور، والروايات التي كانوا يتناقلونها في ما بينهم ، والروايات التي كانت منتشرة في مدينة بابل ، والتي نقلها سترابون . كلها متفقة على ان الفوج الكنعانى الثاني ، الذي اطلق عليه اليونان اسم فينقيين ، قد انتقل من البحرين الي القطيف ، ثم الى لبنان ، عن طريق العراق ، وهذا مـا اعلنه المؤرخ العميق « تروغ بومبي Trogh bomby » (٢) كـما ذكر المؤرخ الفرنسي « رنـه دوسو René Dussaud » (٣) معتمـدا تحقيقات العلامة « ونكلر Winkler » ان جزيـرة العـرب هي الموطن الاول للساميين جميعا ، وانهم عرفوا بعد هجرتهم منها بأسماء مختلفة ، اي عرفوا با لبابليـين و الآشوريـين والكنعانيين والفينيقيين والآراميين واليطوريين والسريـان والهكسوس والكلدان والانباط ...

---

(١) راجع ترجمة هيرودتس الفرنسية

(٢) راجع كتابه الذي اختصره « ديستين » فصل ١٨ ص١٣

(٣) راجع كتابه « العرب في سورية قبل الاسلام »

والذي نفيده من بحـوث الكاتبين العلمـاء ، أن مـدلول اسم عـرب ، كـان مرادفا لاسم ساميين لدى سكان الجزيرة أنفسهم ، فالعدنانيون العرب هم كلـدانيون قطعا ، وقـد أدرك هذه الحقيقة التاريخية الرائعة ، الاب انستاس الكرملي فقال « الكلدان والاشوريون ينسبون الى شيخ عربي يدعي كلدة ، ونشاهد في عصر الصحابة اسم كلدة » (١) ونحن لانزال نرى بعض قبائل حضرموت لدعي « كلديين » (٢) والذي جعل الاب انستاس ينتهي الى هـذه الحقيقـة ، هي دراساته العميقة في اللغة السامية الأم ولهجات قبائلها التي تقدم ذكرها اذ وجد اللغة العربية الحاضرة هي عين اللغـة السامية وهي التي تحمل عنـاصر الحياة والتطور ، وقـد انتهى الى هذه الحقيقة ايضا في بحوثه العلامـة القس لويس رحماني (٣) إذ يقول « إن اللغة التي يتكلم بها القبائل السامية من آشورية وكلدانية وبابلية وفينيقية وآراميـة وسريانيـة ونبطية ... هي واحدة » وانما تختلف اللهجات ، وكل لهجة تسمى باسم المتكلمين بها ، كلهجات المصريين والعراقيين والشاميين والمغاربة الان إذ كان المؤرخون إذا تحدثوا عن لهجة العراق إذ ذاك مثلا قالوا من باب التعريف : البابلية ، ونسبة

---

(١) راجع مجلة لغة العرب ٢ ـ ٥٧٨

(٢) راجع تاريخ حضرموت لصلاح البكري ص ١١٩

(٣) راجع كتابه مختصر التواريخ ص ٧٤ طبع المـوصل عام ١٨٧٦

تلك اللهجات للعربية الحاضرة كنسبة الانكليزية القديمه للإنكليزيا الحديثــة .

والخلاصــة التي نستفيدها من بحوث البــاحثين ، ومــ اكتشفه علماء الاثار ، أن قبائل إنسان جزيرة العرب ، من قبل التاريخ وبعدة ،هي واحدد ولغتها واحدة ،وان اطلاق ساميا وعربية أحيانا ، هو من قبيل المترادفات اللفظية . واما تخصيص بعض شعب الساميين باسم عرب . فهو من باب تخصيص العام ومن باب استعمال تطور الكلمات ومداولاتها وهذا كائن في كل اللغات . وإنسان جزيرة العرب هــو عين انسان العراق واليمن ولبنان وسورية ومصر وسواها من مواطن الشعوب العربية اليوم ، ولئن راى المؤرخون شيئا من التباعد في لهجات اللغة الاراميــة التي هي لغــة التدمريين والنبطيين بالنسبة لقبائل الشام منــذ عشرين قرنا وبين لغةسائر القبائل الاخرى كالكنعانيين الفينيقيين واليطوريين والضجاعمة والمراديين السريان والبكريين وسواهم ، فانما مرجع ذلك هو تباعد الهجرات في اعماق الحقب او تقاربها بالنسبة لجزيرة العرب ، إذ ثابت لدى العلماء ان اللغــة الســامية الأم التي هي اللغة العربية ، دائما ابــدا في تطور وتقدم مستمر . ولذلك وجد العلماء الباحثون شيئا من التباعد بين لغة القبائل التي هاجرت الى بلاد الشام بعد الاسلام وهي تحمل لغــة القرآن ، وبين القبائل السابقة التي هاجرت من قبل بقرون متطاولة متفاوتة وقد ادرك هذه الفروق العميقة

الدقيقة مع وجدة الاصل الجامع البحاثة العلامة الاب لامنس بقوله «اما سكان الشام ، فالنبطيون والتدمريون لهجتهم الآرامية وبقية السكان فالعربية ، وان كانت بعيدة عن لغة القرآن نوعا » كما صرح ان اللغة اليونانية كانت منتشرة بين رجال العلم وان اللغة اللاتينية كانت بين رجال الجيش (١)

نعم كانت هجرة هاتيك القبائل من جزيرة العرب ، في ازمنة سحيقة متطاولة ، كما هاجر خلفهم القبائل العربية في القرن السابع للميلاد وقد نوه بذلك المؤرخ الاميركي « باتون Paton » (٢) وعليه درج كبار علماء التاريخ امثال « روبرث سميث Robert Smith » « وصموئيل لاينج Samoη Lainge » « شريدر Syrenger » « سيرنجر Chryder » « سايس Çaise » (٣) وقد كان اليونان يطلقون على سواحل البحر الاحمر وما يتصل به من المحيط الهندي « سواحل بحر ارتيريا » (٤) نسبة الى الحبشة ، كما اطلق ، على سواحل البحر الابيض المتوسط ، سواحل بحر الروم ، وهم لا يريدون من هذا ولا ذاك ، ان كل ساحل في الارتيري هو للحبشة ، ولا كل ساحل في المتوسط هو

---

(١) المشرق ٢٩ ـ ١٤

(٢) راجع مجلة المباحث ٢ ـ ٧٢٨

(٣) راجع الموجات البشرية ص ٣٥

(٤) الموجات ، ص ١٣ نقلا عن هيرودتس

للروم ، اذ كان الاقدمون يطلقون اسماء البلاد والجماعات حسب لغاتهم ، وقد يشتهر في التاريخ اسم مأخوذ من لغة في سواها ، كما تغلب اسم فينقيين اليوناني ، على الفوج العربي الكنعاني الثاني ؛ ولم يفطن الى هذه الحقيقة التاريخية ، بعض مؤلفي الكتب ، المعـدة للتدريس الرسمي في لبنان ، فظنوا ان الفوج الكنعاني الثاني ، هاجر للبنان من سواحل البحر الاحمر عن طريق فلسطين ، (١) وسبب الخطاء في ذلـك هو عدم اطلاعهم على ما ذكره جمهرة المؤرخين الغربيين والشرقيين قديما وحديثا ، ولا على ما ذكره علماء الآثار عن مواطن الفينيقيين الاولى واسماء بلادهم ، وانهم كانوا عربانا رحلا ، لم يعرفوا غير الرواحـل والمواشي ، وآثارهم في القطيف من نجد مشهورة ، وهو الطريق البري الذي ساروا عليه . وقد غر هؤلاء ما قـرأوا عن الاساطيـل الفينيقية واتقانهم فن الملاحة ، فخالوهم كانوا كذلك حتى في موطنهم الاول ، وهذا لا يمنع ما ذكره المـؤرخون انهم نقلوا الى لبنان من حضارة البابليين لدى مرورهم في العراق لانهم كانوا يطيلون المكوث في البلاد التي ينتقلون اليها . اذ يفهم من الرسائل التي اكتشفت في « تل العمارنـة » (٢) ان

(١) راجع تاريخ لبنان الموجز ، مقرر الشهادة الابتدائية الطبعة السابعة

(٢) هي الرسائل التي كانت ترد ملوك مصر ، من الممالك التي تعترف لهم بالسيادة في الشرق ومنها فينيقية ، ويفهم منها ان ـ

الفينيقين كانوا يكتبون أولا باللهجة البابلية ، ممـــا يدل على تأثرهم وطول مكثهم هناك ، ثم باللهجة الكنعانية التي عرفوا بها بعد إقامتهم طويلا في لبنان ، وإن كان بعضهم أرجعها الى وحدة اللغة في الاصل

اجل استطاع الكنعانيون الفينيقيون ، ان يحدثوا في لبنان حضارة وفناً ، وان ينقلوا له حضارة ومجد بابل ، فيوسعوا آفاقه ويترامو بها ، حتى يتصلوا بشعوب كثيرة ، تجارياً وسياسياً وعسكريا وثقافياً بنقل حروف الهجاء (١) ماحدا بالشاعر اليوناني

ـ الفينيقيين في القرن الرابع عشر قبل الميـــلاد كانوا في اسمى درجات الحضارة ، اكتشفت هذه الرسائل منقوشة على الآجـــر عام ١٨٨٨ في الصعيد جنوبي مدينة المنيا بـ ٨٠ ك م

(١) اجمع الباحثون ان الابجدية انبثقت من الشرق ـــ وهـــذا لا ينقص من مكانة الغرب ـــ إذ الامة الانسانية امة واحدة ، وانما الغرض بيان الجماعة الذين انبثقت فيهم الابجدية لاول مرة . وقد درج كثير من الناس قبل اكتشاف الآثار على انها سامية فينيقية فلما اتسعوا في دراسة الآثار الهرغلوفية اثبتوا انها اسبق وخـــالوا الفينيقيين استفادوها من الهرغلوفية ، واخيرا حين امتدت ايدي الاثريين في خرب الكوفة ودفائنها القديمة ، الفوا ان الابجـــدية سامية سومرية ، وان السومريين هم اول من عـــرفوا الكتابة بالابجدية . الى هنـــا وصل تحقيق علمـــاء الآثار الباحثين ، ولعل المستقبل يكشف اشياء لم تكن بالحسبان . راجـــع مجلة المشرق ـــ

الكبير «هوميروس» ان يتغنى بزجاجهم وارجوانهم في «الياذته» (١) كما نوه بامجادهم وصناعاتهم وملاحتهم وشجاعتهم وحكمائهم كاتبوا اسفار العهـد القديم (٢) ولم يكن لقائدهم البحري «هرزدبيال» شقيق «هانيبال» منازع في السيادة البحرية (٣) وقد برعوا في الصياغة الحلي ، وتفوقوا عمـا كان لاخوتهم الكنعانيين الاول بمراحل ، واقاموا دوراً لصناعتهم في المدن التي نزلو بها ، او أسسوها في رحلاتهم الكبرى ، كالمعامل التي اشادوها لاستخراج الحديد في أسبانيـا . ومن اشهر المدن التي اختطوها المـدينة المشهورة بـ «قرت حدث» (٤)

ـ ٣١ ـ ٣٨٧ ومجلة العصبة الصادرة من سان باولو عدد آذار ونيسان لعام ١٩٥٠ وكتاب «الهلال في اربعين عاماً» مطابع الهـلال ١٩٣٢ ص ٨٥ و «جولة في ربوع الشرق الادنى» للرحالة المصري «محمد ثابت» ص ١٠٠

(١) الطبعة العربية ص ١٠٩٦ ترجمة البستاني

(٢) راجع حزقيال ٢٧ ـ ٩ وقد خص بالذكر ملاحي صيدا وأرواد ، وحكماء صور وجبيل ، وقد ذكر العهد القديم الكنعانيين بنحو مئة موضع في مناسبات مختلفة ، ولا غرابة فهم يقطنون هذه البلاد قبل التاريخ ، واليبوسيون الذين وهبوا داود ارض بيدرهم ليجعله هيكلا هم فخذ كنعاني

(٣) راجع كتاب «هانيبال» بالانكليزية ، ترجمة نعوم مكرزل ، ويوبيل النهضة اللبنانية ص ١٩٤

(٤) اي القرية الحديثة ، ولفظة قرية نطلق على المدينة ، ولا

اما اقامتهم في شمال افريقيا ، واختلاطهم هناك فيها بعد بالقبائل المعروفة باسم « زناتة » فـلا يكاد يجهله احد ، بل يرى مؤرخو اجناس سكان افريقيا ، الدم الفينيقي الكنعاني لا يزال بهم ماثلا (١) ومن مراكزهم التجارية في اسبانيا ـ ترشيش ـ ولهـا شهرة عظيمة في الشرق حتى ذكرها كاتبو اسفار العهد القديم (٢)

٤ـ اليطوريون ٣ قرون قبل الميلاد

وقد اعقب هجرة فوجي الكنعانيين ، هجرة اليطوريين

ـ عبرة بالتحريف الأعجمي الذي طرأ على اللفظة الفينيقية الاصيلة وحرفها الى « قرطاجة » اذ هذا شأن الكلمات التي تنتقل الى غير بيئتها ثم ترجع اليها . كما رجعت الينا ـ ألا ـ اداة التنبيه العربية الو ، والأوج العربية اي المكان المرتفع ، لوجاً ، والغول ، كثولا وألكولا . . .

(١) راجع كتاب « فتح العرب لافريقيا » ص ٥ نقلا عن كتاب « الوازن » طبعة المستشرق الفرنسي ماسينيون ص ١٧٧

(٢) راجع ارميا ١٠ ـ ٩ وحزقيال ٢٧ ـ ١٢ ولا نـدري اهي تأسيس فينيقي دعوها باسم مدينتهم ترشيش التي اقاموها في لبنان الى جانب مجدلها = حصنها او هي تأسيس اسباني اتخذها الفينيقيون مركزاً ، وهي من امهات المدن في العصر العربي ولها ينسب العلامة الطرطوشي ، اذ دعاها العرب « طرطوش »

الذين وافوا حوران اولا ، حين هاجروا من الحجاز قبل الميلاد بستة قرون ، (١) وحين تكاثروا واصبح لهم سلطان كبير ، تدفق فريق منهم الى لبنان قبل الميلاد بثلاثة قرون وقد رحب بهم الكنعانيون الفينيقيون لما بينهم من روابط المصلحة واواصر الدم ، وكانوا ـ كما يقـول الأب لويس شيخو ـ مشهورين بالشجاعة والفروسية والرمي (٢) فنزلوا اولا سهل البقاع وبعلبك ، واقاموا حصنهم العظيم على هضبة « عينجر » ودعوه مجدلا ، (٣) ثم صعدوا لبنان الشرقي والغربي وجبل حرمون ومنطقة الشوف ، ولا تزال الى الآن قريتا ـ جدرة ـ (٤) و ـ حيتورة ـ (٥) من بقايا ملنهم ،

---

(١) لاجل اليطوريين راجع ، الموجات البشرية وخطط الشام ١ ـ ٦٣ و ٩٤ ـ ٩٦ وتسريح الابصار للاب لامنس ٢ ـ ٣٩ ودواني القطوف لعيسى المعلوف ٤٣ وهم من ذرية اسماعيل : تك ٢٥ ـ ١٥

(٢) مجلة المشرق ٢ ـ ٢١٥

(٣) كلمة مجدل تطلق في العربية على كل حصن ، كما قال ابو العلاء :

اذا طرق المسكين بابك فاحبه قليلا ولو مقدار حبـة خردل
ولا تحتقر شيئا تساعفه به فرب حصاة ايدت ظهر مجدل

(٤) يطلق على الايتوريين كلمة جدريين ايضا ، وقد عرفوا بهذا الاسم في حوران ، واطلقه عليهم العهد الجديد مر ٥ ـ ١ ولو ٨ ـ ٣٦ والخطط ١ ـ ٦٣ و ٦٥ وجدرة قرية بسيطة الان قرب شحيم

(٥) حيتورة وحيطورة ، تحريف ايتورة وايطورة ، وهي قرب جزين

ثم امتدوا الى الساحل ، وجعلوا مراكزهم الرئيسية في مدينتي جبيل وطرابلس ، بل امتدوا حتى وافوا اللاذقية ، وهكذا كان الايطوريون قوة لبنانية جديدة ، ركزت فيه الحرية والامجاد ، واتحدت مع سكانه للدفاع عنه تجاه الاجتياح الروماني ،(١)اذ لم يكن الشعب اللبناني اذ ذاك ، على اختلاف القبائل التي كونت انسانه من جزيرة العرب ، مختلف النزعات تبعاً لاختلاف الروح القبلية ، ولا مقيما لها وزنا فكنت تسمع كلمة فينيقيين او صيدونيين او كنعانيين (٢) ، تشمل جميع قبائله من يطوريين (٣) وقحطانيين (٤) ومن اجتمع اليهم

---

(١) دام الحرب بين اللبنانيين والرومان ٤٤ عاما من عام٦٤ لعام ٢٠ ق م ، راجع الاب مرتين اليسوعي ص ٣٤٧ نقلا عن سترابون ولا مبالغة في هذا الامر لان دمشق لم تسلم للرومان الا عام ١٠٥ م والحضر وتدمر لم تستسلما الا بعد تدميرهما في القرن الرابع م

(٢) فينيقيون ، كنعانيون ، صيدونيون ، كلمات مترادفة تطلق على القبائل العربية التي هاجرت من جزيرة العرب منذ ازمان بعيدة

(٣) يطوريون ، ايتوريون ، جيدوريون ، كلمات مترادفة تطلق على القبائل العربية التي هاجرت من الحجاز لحوران قبل٢٦ قرنا ثم للبنان قبل ٢٣ قرنا

(٤) سيأتي تاريخ هجرتهم

من القبائل الاخرى ، اذ نجد في ذاك التاريخ نفسه وما قبله في فلسطين وحدها عشرين اسما لافخاذ الكنعانيين (١) ، كما نجد في سورية ، ساحلها وداخلها ، كل قبيلة تحتفظ باسم خاص فهؤلاء نبطيون (٢) واولئك همدانيون (٣) وبكريون (٤)

---

(١) القبائل التي يعدها العهد القديم كلها من اصل سامي ماخلا الفلسطينيين فقد ذكر صاحب كتاب « موجز التواريخ » ص ٧٤ انهم اقدم من الاغريق حضارة ، وليسو من اصل اغريقي، كما ظن الكثيرون ، وقد حققت هذه القضية التاريخيـة الكاتبة الانكليزية « فرنسيس املي نيوتين » في كتابها « خمسون عاماً في فلسطين » الذي عربه وديع البستاني ص ١٢٢ وبينت ان عرب فلسطين الآن هم ذراري تلك القبائل الكنعانية

(٢) هم من عرب الحجاز ينسبون الى نبايوت بن اسماعيل وقد عاشت دولهم في دمشق وتدمر منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وشمل حكمها في فترات حتى صحراء سينا ، وفي عصر المسيح كان الحارث النبطي ملكا على دمشق راجع ٢ كو ١١ ـ ٣٢

(٣) قبيلة عربية مشهورة قاعدتها قبل الميلاد مدينة جبلة اذ على هذا الساحل مساكنها ومساكن كندة واياد ، راجع ابا الفـدا ٢ ـ ٩ وخطط الشام ١ ـ ٦٤ و ٦٥

(٤) هاجرت بكر من اليمن والبحرين للمناطـق المعروفة باسمها الآن ومدت جناحيها الى ميافارقين وسعرت قرونا ، واصطدمت بفارس عام ٣٠٣ م ، راجع عشائر العرب لكحالة ص ٤٩

وتغلبيون ومضريون وربيعيون ومراديون (١) ومن هؤلاء الفينيقيين انفسهم قوم اسسوا مدينة « أرواد » (٢) واستقلوا بها ، وضربوا نقودهم باسمهـا ، كما اسسوا اللاذقية ، (٣) واقاموا شرقها حصونا ترد عنها عادية المهاجين ، واعظم هذه الحصون ، حصن « سيغون » (٤)

٥ القحطانيون ١٥٠ عام ق م

هاجر فريق من القحطانيين اليمانيين الى لبنان في القرن الثاني قبل الميلاد . ونزلوا الجبال التي عرفت فيما بعد بعاملة ،

---

(١) مشهورة شمال الشام ديار ربيعة ومضر وتغلب ، اما ديار بني مراد فالجرجومة وما اليها كما سيأتي تحقيقه .

(٢) قال في تلك ١٠ ـ ١٨ الارواديون مـن مواليد كنعان

(٣) ظن بعضهم ان اللاذقية تأسيس يوناني والواقـع ، لقد اسسها الفينيقيون ودعوها ـ عالية ـ لكن احد ملوك السلوقيين اليونان امران يطلق عليها اسم امه لا وذيقة ، المشرق ٢٢ ـ ٤٨٣

(٤) هو المعروف الان بحصن صهيون في لواء اللاذقيه ، وقد حرفته الالسنة لصهيون تسهيلاً للنطق به، ولاصلة له بجبل صهيون المعروف بالتوارة .ولا عبرة بأوهام العامـة الذين ينسبونه لسليمان كما ينسبون له بناء تدمر اذ كلما شاهدوا قبرا قديما قـالوا : فيه يشوع او عزرا اواليشع اوايليا .. لظنهم ان سليمان ملك الارض ولو علموا انصور وغزةوالبحر الميت وعجلون لم تدخل فيملك سليمان لتخيلوا حدود مملكته الحقيقية وزال وهمهم.

وقد وجدوا جماعة من إخوانهم النبطيين والايتوزيين والكنعانيين فاختلطوا بهم .

٦ ـ الفوج القضاعي الاول ١٠٠ عام ق م

هذا الفوج هو من قبيلة قضاعة ، المشهورة بفروعها الكثيرة في اليمن والشام والعراق نزل جبل عاملة منذ القرن الاول للميلاد فوجد القحطانيين والكنعانيين والايتوريين والآراميين والانباط منتشرين في سهوله واوديته فاختلط بهم ، ومنذ اليوم الذي حل فيه هذا الفوج عرف هذا الجبل بجبل عاملة نسبة الى الاميرة عاملة القضاعية ، والدة الحارث بن عدي القضاعي ، (١) وقد امتد هؤلاء القضاعيون العامليون من صور لصفد لطبرية للجليل ، اذ هو من عاملة ، وذكر بعض شعراء قضاعة نزول هذا الفوج في لبنان المعروف اذ ذاك ببلاد الصنوبر فقال :

وقد نزلت منا قضاعة منزلا
بعيداً فأضحت في بلاد الصنوبر (٢)

ولا عجب ان نرى القضاعيين يختارون الاقامة في جبل عاملة . فان الضجاعم ـ وهم فخذ من قضاعة ـ كانوا امراء جنوب الشام قبل الميلاد بقرون (٣) وقد سلموا الامر لغسان عام ٣٧ م.

---

(١) راجع اعيان الشيعة ٢ ـ ٤٣٢ الطبعة الثالثة
(٢) راجع خطط الشام ١ ـ ٦٣ و٦٦ ودواني القطوف ٦٥
(٣) راجع المشرق ١٤ ـ ٤٦٦

٧ ـ الفوج اللخمي الاول عام ٥٥٠م

عرف المؤرخون والاثريون ، ان هجرات القبائل من جزيرة العرب ، الى العراق او البحرين ثم الى الشام ، متواصلة متغلغلة في ابعاد التاريخ ، ومن هذه القبائل التي هاجرت من اليمن للعراق قبيلة اللخميين ، الذين اسسوا مملكة الحيرة اما سبب هجرة هذا الفوج الى سوريا فلبنان فتعزى الى المواقع التي جرت بينهم وبين الفرس وبالحري ، موقعة « ذي قار » الشهيرة

٨ ـ جماعات شتى من القرن الاول للميلاد الى السادس منه

لم يعن المؤرخون بتدوين الجماعات التي وفدت الى لبنان من جزيرة العرب من القرن الاول للميلاد الى القرن السادس منه ، وذلك لفقدها السلطان السياسي الذي يجعلها موطن بحث المؤرخين ، وهذا معقول جداً لان البلاد كانت خاضعة لسلطان الامبراطورية الرومانية .

٩ ـ بنو خزاعة عام ٦٣٦م ـ ١٤هـ

وفد الى لبنان بنو خزاعة في القرن السابع للميلاد ، وفي القرن الاول للهجرة ، ونزلوا بعلبك ـ وهم المعروفون الآن بالحرافشة ـ وكان يساكن العرب في بعلبك قبل نزول الخزاعيين بها ، جماعة من الفرس والروم ، اما وجود الروم فطبيعي لان البلاد من مستعمراتهم ، واما الفرس فلم نجد

من يعين عصر وفودهم او يوضح سببه ، ولعلهم من وفود التجار ، او من بقايا اسرى الروم الذين يستطيبون البلاد فلا يفكرون في العودة الى اوطانهم ، ولم نجـــدهم الا في مدينتي بعلبك وطرابلس .

١٠ ـ الفرس عام ٦٥٢م ٤٠هـ

نجد جماعة من الفرس تنزل لبنان اوائل العصر الاموي ، وتستوطن بيروت وطرابلس وُعرقة وصيدا وجبيل ، ونعتقد ان الدافع لهم على الهجرة أمران ، حاجة البلاد الى سكان (١) لسعة الاعمال الكبرى التي كان يتطلبها وجود الدولة الاموية بها ، ووجود هؤلاء في موطنهم الاول الذي جعل معاوية غير مطمئن لهم سياسيا لمشاغباتهم .

١١ ـ بنو مراد عام ٦٧٧ م ـ ٥٥ هـ

هجرة قبائل جزيرة العرب الى ما بـــين النهرين وأرفة وحرّان ، لا يعرف المؤرخون والاثريون لها اولا ، شأنها في لبنان ، وكلما اكتشفوا هجرة جماعة ، لبينوا ان وراءها في غياهب الزمن جماعة اخرى ، واقدم من عرفوا من القبائل التي تقيم ما بين النهرين الى جبال اللكام فتخوم طوروس هم المراديون ، وهم بطن من كهلان ، القبيلة اليمنية الكبيرة

---

(١) راجع كتاب « البلدان » لليعقوبي ص ٢٢٠ طبعة ليدن ، وتنوير الاذهان ١ـ٢٧٤

ذات البطون المشهورة (١) ومن هذه القبيلة نفسها فرعـا ربيعة ومضر ، اللذان لحقا بالمراديين فيما بعد ، وسميت البلاد باسميهما .

اجل ذكر العلامة المحقق الحاقلاني ،ان بني مراد المذكورين هم بطن من كهلان ، كما نقل ذلك عنه المطـران يوسف دريان . (٢)

ولما كان نهر دجلة الذي يمر في تلك الديار يسمى قديما « اثور » اطلق الاثوريون على المراديين والمضريين وبني ربيعة اسم « اشور » لاعتبارهم داخلين في المملكة الآشورية، ثم امتد هـذا الاسم في العصر اليوناني فتناول قبائـل الآراميين والكنعانيين ، وهكذا عرفت الشام بسوريا واهلها بالسريان ، اي السوريين قبل المسيح بنحو قرنـين ، فطرأ على المراديين اسم جديد هو سريان . وقد دخلوا في النصرانية في القرن الاول للميلاد ، وظل هذان الاسمان مراديـون « وسريان » مطلقين عليهم حتى نسبوا للقديس مارون (٣) في القرن الخامس ، فاكتسبوا اسما جديدا هو « موارنة » وفي

---

(١) صبح الاعشى ٥ ـ ١٩

(٢) البراهين الراهنة ، في اصل المردة والجراجمة والموارنة ص ١٤٩ المطبعة العلمية ليوسف صادر ١٩٠٧

(٣) ولد في شمال الشام عام ٣٥٠ وتوفي عام ٤١٠

القرن السابع اسماهم العرب المسلمون « جراجمة » (١) نسبة الى مدينتهم الحصينة « تشرشون » (٢) التي خففها العرب حسب لغتهم باسم « الجرجومة » وفي هذا القرن نفسه نزلت بينهم حملة الامير تأداسيس ولي العهد الرومي الذي بويع بفارس بيد البطريرك النسطوري مار سبريشوع لمحاربة الروم، انتقاما لسلبهم ولاية عهده بيد فوكاس (٣) الذي اقام نفسه امبراطورا ، وكان في هذه الحملة مع النصارى النساطرة

---

(١) اول عهد اعطي للمراديين لسريان الجراجمة هو العهد الذي اعطاهم اياه ابو عبيدة عامر بن الجراح استثناهم فيه من الضرائب على شرط حماية حدودهم من صولات الروم، راجع الخطط ١-١١٧ وعلى ذلك ايضا صالحهم القائد حبيب بن مسلمة الفهري ، راجع تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ١ ــ ٥٢ والشرع الدولي في الاسلام للأرمنازي ص ١٢٧ . واذا استثنينا بعض حوادث سببت انتقاضات وكان سببها اما الاغراء الرومي او عدم حكمة بعض ولاة الامويين اوالعباسيين ، نتحقق صدق ما قاله ياقوت اذ ذكر مانصه « واستعان المسلمون بالجراجمة في مواطن كثيرة في ايام بني العباس وبني امية واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة الخطط ١ ــ ٥٢ وهذا ماشارله الريحاني في كتابه النكبات ص٧٨

(٢) راجع مجلة المنارة السنة الرابعة ٨٩٢

(٣) من اراد اسباب تجهيز هذه الحملة بصورة مفصلة فليراجع كتاب « كلدو وآثور » ٢ ــ ٢٣٦ وتاريخ لبنان للاسود ٢ــ٦٧

فرس ، ومن هنا توهم بعضهم تقليداً لصاحب القاموس ، ان الجراجمة من الفرس والنبيط ؛ لان كلمة نبيط ، كانت تطلق على خليط القبائل التي هاجرت من جزيرة العرب الى هذه البلاد منذ اقدم الازمان ؛ وفي هذا القرن اي السابع نفسه اصبح متعارفا في الاوساط اسم «مردة» على هؤلاء المراديين السريان الموارنة الجراجمة ، نظرا لتمردهم على بعض ملوك القسطنطينية ودمشق وبغداد ، أمثال الامبراطور جوستنيان الذي قتل الامير ابراهيم قائد المراديين اغتيالا في قب الياس ونفى قسما منهم (١) وامثال يزيد بن معاوية وعبد الملك وابي جعفر (٢) اذن فقد عرف التاريخ آخر القرن السابع للميلاد اسمين جديدين هما «مردة وملكيون» الاول يناهض الروم ولذلك سموا مردة والآخر يواليهم ولذلك سموا ملكيين (٣)

والآن ، بعد بيان هذه الخلاصة التاريخية ، تبين لقرائنا ان لا تناقض كما خاله السطحيون ، بين رأي الحاقلاني ورأي الاب لامنس والكرملي ونلدكه ؛ حيث قال هؤلاء : ان الموانة هم غير المراديين الجراجمة » (٤) وما من تناقض بين الرأيين ، لان الاب لامنس يريد ان يقول ، ان كلمة

---

(١) راجع تاريخ الدويهي ص ٤ ـ ٧٣ وتاريخ لبنان لابراهيم الاسود ١ ــ ٢٧٥

(٢) راجع ابن الاثير ٢ ـ ٢١٣ و٢٤٣ وخطط الشام ١ ـ ١٤٥

(٣) راجع ذخائر لبنان للاسود ص ١٠٩

(٤) ص ١١ ــ ٥٥ من البراهين الراهنة

موارنة كانت تطلق على اهـــل انطاكية والقورسية (١) وضواحيها لوجود القديس مارون بينهم واتباعهم اياه ، قبل كل المسيحيين المجاورين لهم ، ثم تسربت المارونية الى شمال انطاكية وجنوبها ، فتناولت السريان الجراجمة ، كما تناولت بقية السريان الآراميين الذين يمتدون مــن القورسية حتى الزبداني في الداخل فقط . اذن فليس كل المراديين الجراجمة السريان الآراميين هم موارنة ، بل هذه العناصر المــرادية الآرامية السريانية هي التي تشكل منها الموارنة (٢) . وقد نقل بعضهم جهلا انه قدم سورية عام ٦٠٠ م احد اعيان فرنسا وتملكها وسمي شارلمان وولى على انطاكية ابن اخته الملقب عند العرب بعبدون ... وهذه رواية مفتراة ، ويعرف افتراءها كل من له اطلاع بسيط ، ولا تحتاج مناقشة وردا لانها بديهية البطلان ، ومــع ذلك فقد ناقشها ورد عليها خوف انتشارها الأب لويس شيخو وحقق بطلانها (٣) كما استغربها الفيلسوف الفرنسي الشهير جبرائيل هانوتو في كتابه « تقاليد فرنسا في لبنان » وحقق بطلانها موضحاً ان يوحنا مارون

---

(١) القورسية شمال كلّس الغربي وبينهما ٢٥ كيلو مترا وهي الآن خربة

(٢) راجع تاريخ العرب المطول للدكتور حتي وشركاه ٢-٢٦٩ ومجلة المنارة ص ٨٩٢ من المجلد الرابع ، جونية - مطبعة المرسلين

(٣) راجع المشرق ١٤-٣٩٧

الذي صار بطريركا ليس مـــن اصل فرنسي وانه يستحيل ان تأتي قـــوة فرنسية اذ ذاك لانطاكية اذ هي تحـــت جنـــاح الروم وهم اذ ذاك مرهوبو الجانب معلنـــا ان الموارنة كسائر سكان سورية القدماء ، هم من القبائل التي هاجرت من جزيرة العرب ، والتي عرفت فيما بعد بالاصل الآرامي ، (١) والآراميون كما يعلم الجميـــع هم اصحاب الشام قبـــل الحثيين (٢) ، اذن فنسبة يوحنا بن اغاتون السرومي الى اصل فرنسي ليست ثابتـــة ، وذهابه لرومية ليس ثابتا ، كما حققه الدويهي والسمعاني وشيخو (٣) وقد دخل هؤلاء المراديون لبنان عام (٦٧٧) م وهم لا يتجاوزون اثني عشر الف رجلا (٤)

الفوج اللخمي الثاني عام ٧٥٨ م ـ ١٣٩ هـ

اهتم العباسيون منـــذ نشوء دولتهم في العراق بلبنان وساعدوا على عماره فندب ابو جعفر عـــام ٧٥٨ والرشيد عام ٨٠٤ والمتوكل عام ٨٢٠ بعض القبائل التنوخية واللخمية

---

(١) راجع الترجمة العربية لبولس عـــواد ص ٤ و ٤٠ طبع عام ١٩٢١

(٢) راجع المشرق ٢٠ـــ٧٢٣

(٣) راجع المشرق ١ـــ٢٥٠

(٤) المشرق ٥ ـ٨٢٦

العراقية للهجرة اليه .

اجل نزل هذا الفوج اللخمي اولا السهل الممتد من حلب الى المعرة وامتد الى ارض دير القمر وسرحمول ووادي التيم والشوف ، اذ اتفق جميع البحاثين على ان السلسلة الجبليا الممتدة من بيروت لصيدا ، كانت حين نزول هذا الفوج خاليا من السكان (١)

التنوخيون عام ٧٥٨ م — ١٣٩ ه

ذكر ابن صاعد في كتابه طبقات الامم (٢) ان المقام الاول لتنوخ هو البحرين ، وقد هاجرت منذ ابعد الازمان الى العراق ، فانتدب ابو جعفر المنصور الاميرين ارسلان والمنذر التنوخيين لسكنى لبنان ، ونزلا بعشيرتهما اولا السهل الممتد من حلب الى المعرة ، ثم سهل البقاع ، ثم تفرقت العشيرة في جبل لبنان ، واختار الاميران سن الفيل مقراً لهما ولحاشيتهما (٣) وولى ابو جعفر المنصور الامير ارسلان اميراً على بيروت وتوابعها وكـان يسكنها اذ ذاك الاوزاعيون — هم بطن من همدان — وما زالت الولاية مستمرة في عقبه

(١) راجع كتاب « سورية والسوريون » للدكتور حتي ص ٣٧ وذخائر لبنان لابراهيم الاسود ص ١٣٦

(٢) ص ٣٨ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت

(٣) راجع كتاب « لبنان في عهد الامير فخر الدين » بيروت المطبعة الكاثوليكية

حتى اواخر العهد العباسي الاول عام ٢١٨هـ(١) وفي هذا العهد ايام الرشيد والمتوكل دخل لبنان عشائر تنوخية كثيرة ، وقد اسس هذا الفوج في لبنان المدن الجميلة والقرى الحصينة التي لاتزال آهلة بذراريه الى اليوم ، كمدينتي بعقلين وعين دارة اللتين اسسهما الارسلانيون ، (٢) ومدينة عين زحلته التي اسسها آل شويزان ، (٣) ومن هذا الفوج التنوخي قبيلة بني فوارس التي نزلت لبنان في مطلع القرن التاسع للميلاد وشمل حكم امارتها المتن كله ، ومنه آل بحتر الذين حلوا لبنان في القرن الحادي عشر للميلاد من جزيرة ديار بكر واستوطنوا عبيه وعيناب وعرمون ونواحي الدامور . . . ولهم آثار ظاهرة الى اليوم (٤) وشمل حكمهم في القرن الثاني عشر من بيروت الى البقاع الى وادي التيم (٥) ومن هؤلاء التنوخيين آل ابي اللمع وهم ابناء الامير ابي اللمع الذي اسس امارته في القرن السادس عشر ، وورثه في الامارة ولداه علم الدين وقائدبيه ، ولكل منهما آثار مشهورة وذرية

---

(١) توفى الامير ارسلان عام ١٤٧ ودفن في سن الفيل ، المشرق ٢٣ــ٦٢٣

(٢) و (٣) راجع تنوير الاذهان لابراهيم الاسود ١ ـ ١١٠ و١٤٩و ٣٠٠ وفي الازمان لمتأخرة تلقب آل شويزان بالقاب كثيرة

(٤) راجع المشرق ٢٤ ـ ٤٥

(٥) دواني القطوف ٩٨

مرموقة ذات امجاد (١)

الارمن عام ٧٤٩ – ١٤٠ه

في هذا العام غضبت حكومة الروم البيزنطية على الارمن، فضربتهم واخرجتهم مع زعيمهم الديني – الجاثليق – ،وظلوا هائمين على وجوههم ، حتي اذن لهم صالح بن علي والي دمشق العباسي وانزلهم الشام ، ثم ما زالو يتوافدون الى سورية ولبنان ،لاسيما بعد ان صار لهم مرجع ديني في« بزمّار في لبنان » الى زمن السلطان عبد الحميد ، اذ هاجر فيه اليهما موجة كبرى وقد ذكر الاب لويس شيخو اليسوعي سبب هجرتهم الاخيرة الحقيقي ، وهو ان بعض يهود «سلانيك» اوقعو سوء التفاهم بينهم وبين الترك ، ليضربهم هؤلاء ويخرجوهم فيحل محلهم يهود روسيا الذين كانوا يقاسون اذ ذاك اقسى انواع الاضطهاد (٢)

المعنيون عام ١١٢٠م–٥١٢ه

هذا الفوج من ربيعة هاجر من جزيرة الفرات واختار منزله من لبنان في الشوف وجوار بعقلين وله ينسب بنو ايوب الذين لا يزالون الى اليوم يقطنون شمال لبنان ،دخل

(١) راجع الحلقة المفقودة لمحمد جميل بيهم ص ٤٨ وذخائر لبنان لابراهيم الاسود ١٣٦

(٢) المشرق ١٥ – ٧٩

هذا الفوج فحالف الامير بحتر التنوخي ورحب بقــدوم الشهابيين فعاهد الامير يونس المعني (١) الامير منقذاً الشهابي ويجتمع الربيعيون المعنيون باللخميين في الارومة الاولى اذ جميعهم مهــاجرون مــن اليمن للعراق ثم لشمال الشام فلبنان (٢)

الازديون القرن ١٢ ـ ١٥ م ـ ٦ ـ ٩ ه

لما تأخر اليمن من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وتربع على كراسي الحكم رجال اغمار لاوزن لهم، اهملت العناية بالسدود واكبر ما اهملوه سد مأرب ، حتى اشرف على الانهيــار وادرك كثير من القبائل ان بقاءهم في اوديته ومجاريه اصبح خطرا ملموسا ، فاضطروا الى مغادرة اليمن والرحلة الى الشام والعراق

وممن دخل بلاد الشام من هذه القبائل بعد اقامة بالحجاز قرونا الازديون الذين عرفوا بالغساسنة ، وقد وجدوا ابناء عمومتهم الضجاعمة القضاعيين كانوا قد سبقوهم الى السكنى بها فامتزجوا بهم وكونوا معاً مملكــة الشام الغسانية التي دامت ستة قرون بالضبط من عام ٣٧ ق م لعام ٦٣٦ ب م وقد

(١) توفي عام ١١٤٩ م راجع تنوير الاذهان ١ ـ ٣٢٣

(٢) راجع ابن صاعد ص ٤٠

اشار لذلك حسان بن ثابت بقوله :

اما سألت فـانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان(١)

وقد انتقل من هؤلاء الغساسنة الازديين للبنان منذ طليعة القرن الثاني عشر للميلاد جماعات كثيرة من مناطق مختلفة أشهرها آل الخازن وآل شقير ، وآل اليازجي وآل ابي خاطر ، وآل ابي عسلة وآل الحداد (٢) وقد تسمت فروع هذه الجماعات بعد انتقالها الى لبنان بأسماء مختلفة كبني الصائغ وبني رزق وبني نخلة (٣) وبني كعدي وبني نفاع . . . ومن هؤلاء الغساسنة الذين أموا لبنان آل المعلوف ، ولهم فرعان في لبنان هما بنو الصليبي وبنو الصليبا ، وممن أمو لبنان آل فحيل وبقاياهم لا يزالون في حوران الى اليوم يقطنون اللجا ، وبعد سكناهم في لبنـان الشرقي عرفوا بالدنادشة ، وبنو تغلب وترى من يذكرهم جهات مشغرة ولا ندري متى كان دخولهم ، وبنو جبـل ولهم فرع في دمشق والعراق

---

(١) قال في صبح الاعشى ١ـ٣١٨ : للأزد بقايا بزرع وبصرى نسبو الماء في اليمن اسمه غسان . ولعلهم اطلقوا هذا الاسم على الماء الكائن قرب « عرى » في جبل حوران احياء لاسم ماء اليمن

(٢) لا يزال لآل الحداد بقية في عجلون والكرك راجع تاريخ شرق الاردن لبيك ص ٣٤٦ و « خمس اعوام في شرق الاردن » لبولس سليمان ص ٢٦٩

(٣) دواني القطوف ١٨٩

آل عزام القرن ١٢ للميلاد ـ ٦ للهجرة

لآل عزام فخذان ، احدهما هاجر الى لبنان من حوران والآخر من جزيرة الفرات ، وهما من افخاذ ربيعة ، وقد حدثت لهم في لبنان اسماء كثيرة اشهرها التلحوقيون (١)

المخزوميون والشهابيون ١١٧٢م ـ ٥٦٢ هـ

غادر فريق من المخزوميين حوران ، وهم امراؤها منذ ايام عمر بن الخطاب ونزلوا اولا وادي التيم ، ثم تفرقوا في جهات مختلفة من لبنان ، وعرف فريق منهم بالشهابيين نسبة الى جدهم الاعلى الامير شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة المخزومي . ومن الشهابيين فروع كثيرة تسكن اليوم قرى العرقوب ممتدين الى الحولة ، ومنهم اسرة آل مخزوم البيروتية .

وقد ارتبطت هذه الموجات ببعضها بروابط المصاهرة ، فاصبح اللمعيون الحاليون شهابيين ايضاً اذ نرى الامير خليل بشير احمد اللمعي يقترن بالاميرة سعود كريمة الامير بشير الشهابي الثاني .

الوائليون ١٢٠٠م ـ ٥٩٥ هـ

هاجر فريق من الوائليين النجديين بزعامة محمد بن هزاع الوائلي ، فنزلوا جبل عاملة وامتزجوا باخوانهم القحطانيين ،

(١) مجلة الآثار ١ ـ ١٩٤

ومن اشهر امرائهم اذ ذاك بشارة بن مقبل القحطاني (١) والى محمد هذا ينتمي آل الاسعد (٢)

التركمان ١٣٠٧ م ـــ ٧٠٥ هـ

كان يقطن شمال الشام جماعة مـــن الاتراك السلجوقيين الذين سموا انفسهم تركمان ـ الترك الطاهر ـ وهاجر بعضهم الى لبنان منذ زمن بعيـــد جداً فاستوطنوا الكورة ، ثم اسندت لهم امارة بيروت وجبيل وكسروان (٣) وظلوا امراءها من عـــام ١٣٠٧ لعـــام ١٦٣٥ م واسسوا قرى كثيرة اشهرها غزير (٤)

الفوج اللخمي الثالث ١٤٢٩ م ـــ ٨٣٠ هـ

ان الذي نوه بهجرة هذا الفوج الى لبنان وحققه ، هو العلامة الكبير المستشرق الفرنسي جبرائيل هانوتو في كتابه « تقاليد فرنسا في لبنان » (٥) ولم يذكر من اين هاجروا واين نزلوا لاستفاضة ذلك في التاريخ

واشهر افخاذ اللخميين المعروفين هم آل الاطرش وآل

---

(١) و (٢) تنوير الاذهان ١ـ٥٣٨

(٣) تنوير الاذهان ١ ـ ٢٢٧ و ٥٣٥

(٤) راجع ما حققه الاب لويس شيخو عن تاريخ غزير في مجلة المشرق ٢ـ٢٠٨

(٥) الطبعة العربية ص ١٩

عز الدين وآل عبد الملك وآل النكد وآل عماد ... (١)
ولهذه الاسر امارات معروفة في التاريـــخ اللبناني ، آثرنا
الاختصار لان رائدنا الوحيد هو التعريف بانسان لبنان وقد
حدث لهذه الافخاذ وغيرها اسماء جديدة ، ثم عرفت مجموعة
اسر باسم احزاب كصمدي وهــلالي وجنبلاطي ويزبكي
وشقراوي واعوري وعريان . . . وذلك معروف لحدوث
اشتقاقه واصطلاحاته بعد هجرتهم بازمان طويلة .

الاكراد ١٥٢٨ م ـ ٩٣٢ هـ

في شمال العراق يقع جبل « هكـّار » واكثر سكانــه
اكراد (٢) ، ومنهم جماعة حلت شمال لبنان ، في سلسلة
جبال الكلبية الجنوبية ، وقد اسموا القسم الذي نزلوا فيه ،
باسم جبلهم هناك ، الا ان الغرب نطقت به « عكار » ، ثم
عم الاسم المنطقة جميعها وقد عرفت امارتهم باسم امارة آل سيفا ،
ودامت نحو قرنين ، ثم تفرقوا حين غضب عليهم السلطان

---

(١) تنوير الاذهان ٣ ـ ٤٤٣

(٢) حقق العلامة محمد سعيد العرفي مفتي لواء الفرات في كتابه
« سر الانحلال » ان الاكراد من العشائر العربية اليمانية التي حلت
التخوم العربية الفارسية على اثر سيل العرم ، فاختلطت عربيتها
بالفارسية واطلق عليها الفرس لقب « كورد » اي قلب ذئب
وذلك كناية عن شجاعتها

مراد . (١)

الموجة التنوخية اللخمية الاخيرة ١٨١١ م

في اوائل القرن التاسع عشر امّ لبنان اربعمابة اسرة لخمية تنوخية ، وقصدت الى اخوانها في الشوف واستقرت لديها (٢)

الفلسطينيون

ان آخر موجة كبرى امت لبنان على اثر قيام دولــة اسرائيل هي موجة الفلسطينيين وقد نزلت في مختلف القرى والمدن اللبنانية .

والان يستطيع قراؤنا ان يصافحوا انسان لبنان ، من قبل ازمنة التاريخ الى اليوم ، ان يصافحوه لما عرف عنه من روح التسامح والمودة والذكاء الخارق والانسانية الكريمة وان يغتفروا لبعض الكاتبين الذين نسبوا بعض الموجات نسبه خاطئة ، لالتباس مسألة الــدين عليهم ، فاذا رأوا الغساسنه مثلا يتمذهبون بالمذهب الارثوذكسي الذي يشاركهم فيه اليونان ، قالوا عنهم يونان! واذا رأوا الواثليين والقضاعيين يتمذهبون بالمذهب الجعفري الذي يشاركهم فيه الايرانيون قالوا عنهم : فرس

ونحن نعتقد ان الكاتبين الذين وقعوا في مثل هــذه

(١) تنوير الاذهان ١ ـ ٤١٤

(٢) تنوير الاذهان ١ ـ ١٤٤

الاخطاء ، لم يقعوا الا بحسن نية ، لانهم لم يطلعوا على سائر المصادر . وقد رأينا لبعض الكاتبين ردوداً عنيفة لم ترق لنا ، لانها لم تكن من مذهبنا ، ولان الذين اخطأوا واقع المعرفة لم يكن إذاعة الجهل باسم العلم من مقصودهم و وكيف يكون من مقصودهم وقد أوقفوا أنفسهم لخدمة العلم وتحريره ؟ والخطأ ليس مستحيلا حتى على كبار الكتاب وهذا ما يقال : لا بد ان يترك الاول للاخر شيئا . اذ لو استطاع الكاتبون ان يكشفوا واقــع المعرفة في كل شيء من اول يوم ، لما احتاجت الانسانية ان يكتب لها كاتب في شيء بعد ذلك ابدا .

ونحن نعتقد ان اولئك الكتاب الذين حماوا على البحاثة الاب مرتين ، لما قرأوا في كتابه « تسريح الابصار » (١) ان العرب الخلص في لبنان هم الموارنة والدروز فقط ، واما الكاثوليك ففرنج ، والارثوذكس فيونان ، والشيعة ففرس . . . ظنوا انه انتزعهم من سجل العروبة وهم كتابها وأدباؤها . والواقع ان الاب لا يقصد ذلك ، وان اخطأ في نسبتهم ، لان وجودهم في لبنان القرون الطوال وهم يحملون لغة العرب وقوميتهم وتاريخهم ، كافية لان تجعلهم منهم ، لا سيما ونحن في عصر يكتسب الشخص الجنسية بمجرد الهجرة وقضاء بضع أعوام بين الذين يهاجر اليهم .

---

(١) ٢ ـ ٤٥ وراجع دواني القطوف ص ١٣٦

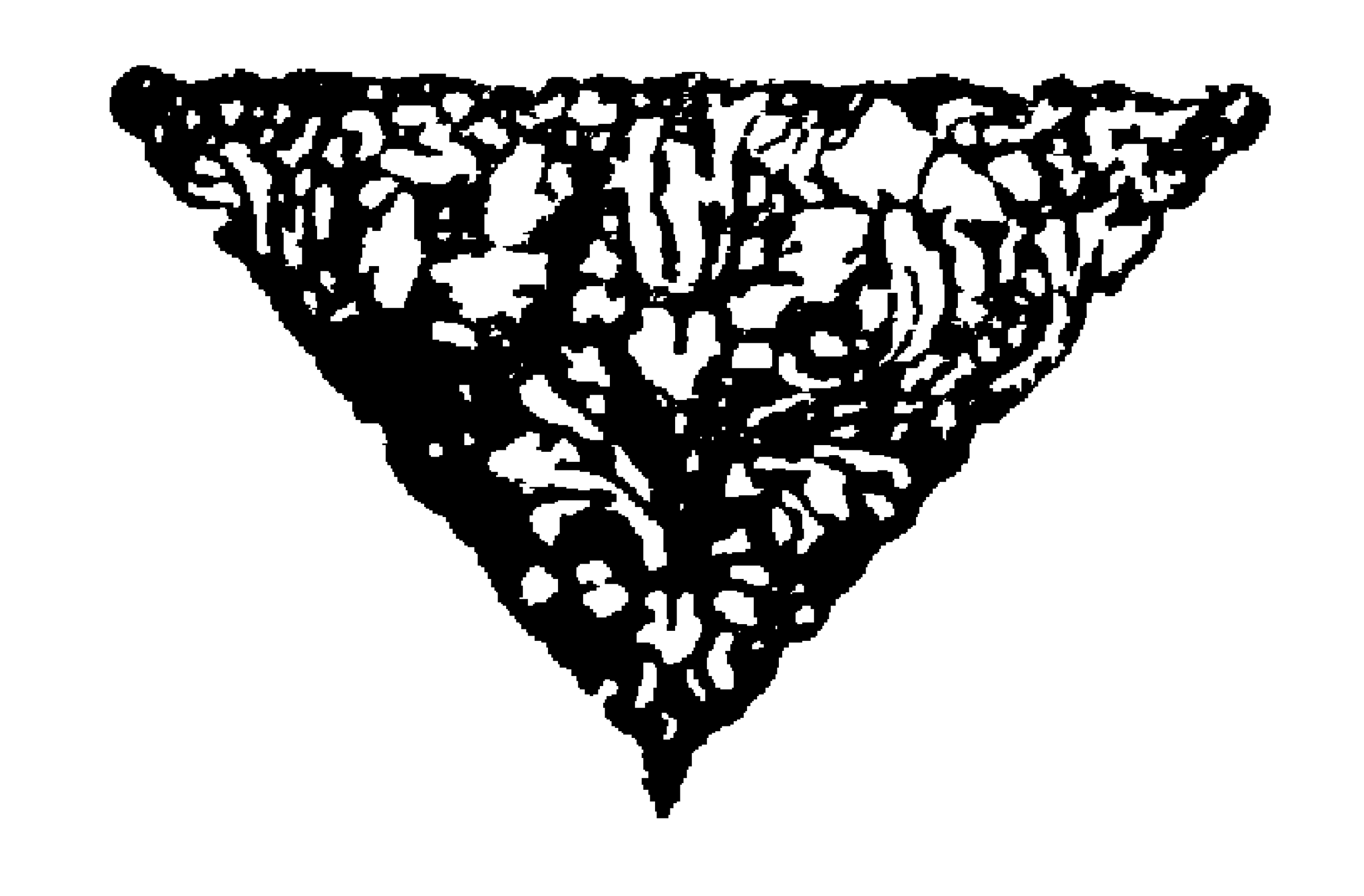
على ان الابحاث التي نقلناها عن كبار المؤرخين وعلماء الآثار ، سواء التي جدت بعد الاب مرتين او التي كانت من قبـل لكفي لطمأنة قلوب هؤلاء الكاتبين الذين نقدوا الاب في كتاباته . والواقـع ليس ممكنا على كاتب مهما اتسعت افاق اطلاعه وترامت في اعماق الاسفار والمكتبات العامة والخاصة ، وتغلغل في اعماق الارض ينقب عن الآثار ويدرس الاحجار المخطوطة وسواها ، ان يكون محيطا بكل شيء ، إذ ليس باليسير ان نلم بقبائل المجتمع العربي سواء التي هاجرت من الجزيرة الموطن الاصلي او التي لم تهاجر ، على تباعد القرون والاجيال ان نـلم بحضاراتها وبداوتها ، ولهجاتها واحداثها ، وما يتصل بها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا وسوى ذلك .

اجل ليس باليسير وضوء التاريخ الكاشف لم يمتـد الى اكثر من خمسين قرناً . ويكفي نظرة واحدة من الباحثين على اسماء المواطن قديماً ، ليدركوا ان الصلات بين جزيرة العرب واطرافها وثيقة جداً ، خذ مثلا واحدا عما ذكره العلامة اللغوي الكبير بطرس البستاني ، اذ يذكر في دائرة معارفه (١) ان اسم ارام لا يزال في جـزيرة العرب الى اليوم ، وهو علم على جبل من جبالها بين مكة والمدينة ،

---

(١) ١ ـ ٦٢

وان كل مرتفع تنصب له حجارة فهو ذو ارام . وهكذا نجد الذين هاجروا الى هذه البلاد ، جاءوا اليها وهم يحملون اسم آرام لدى التحقيق اللغوي . وهــذا ما ذكره ايضاً العلامة البحاثة محمد فريد وجدي في دائرة معارفه (١)



---

(١) ١ـ٢٠٨

سلسلة اديان ومذاهب

انسان لبنان

١ — الانسان القديم ٣٠٠٠ قرناً ق م

عقيدة انسان لبنان السابق على التاريــخ مجهولة ، ولم يكتشف الاثريون عنها شيئاً الى اليوم .

عقيدة فوجي الكنعانيين من ٥٠ الى ٣٠ قرناً ق م

وجد الاثريون لهذين الفوجين ، آلهة متخذة من الاحجار ورموزاً واحاجي ، مما يدل على ان توحيدهم كان ممزوجا بالوثنية ، بل لم يكتفوا بعد هجرتهم الى لبنان ، باوثانهم التي اصطحبوها معهم من جزيرة العرب ، كعشتار والزهراء فطفقوا يجلبون اوثانا ، من جيرانهم المصريين والفلسطينيين ، كما فعلوا في « داجون » معبود اهــل غزة ، المشتق من الدجن او الدجى ، وهو الخفاء والظلام ، والغيوم الكثيفة التي تخفي وجه الارض ، وقد نصبوه في معبد جزيرة ارواد ، وضربوا باسمه النقود ، ومع ذلك كانوا ينزعون الى عبادة الخالق العظيم الواحد ، والذي يدلنا على توحيدهم هو تشييد

هيكل « بيت إيل » اي بيت الله ، وتخصيص لفظة العظيم له وحده جل وعز ، وقد اشـــار المؤرخ الكبير علامتنا المطران يوسف الدبس ، الى اختلاط وثنيتهم بالتوحيد بقوله «ان إله الفينيقيين وجميع المشركين القدماء ، كان واحـــدا ومتعدداً معاً ، فـــان الاله الواحد عندهم ، كان ذا اقانيم عديدة ، يسمونها البعليم اي الآلهة ومن الغريب انا نجد عندهم نوعاً من الثالوث ، فتراهم يعبدون في كل مدينة ثلاثة من الالهة ، فـــكان إلههم في صور ، ملكرت وبعل وعشتاروت » (١) والذي سهل على الوثنيين اعتقاد تعـــدد الالهة ، سواء كانت من احجار او ابقار او سواها ، هو اعتقادهم بأن الله روح تحـــل في كل شيء . مهما سما كالشمس والشعرى ومهما حقر كالجعلان والحيات . بشرط ان ينصب للعبادة . في حرمه الخاص .

٣ ـــ اليطوريون ٣ قرون ق م

دخل هؤلاء لبنـــان وثنيين وظلوا كذلك ، الا انهم أضافوا الى معبوداتهم القديمة ، عبـــادة حرمون (٢) اي الروح الخفي ، الذي حل في جبـــل الشيخ ، وقد ظلوا مستمسكين بعبادته ، قرونا متطاولة بعد المسيح ، ولا تزال آثار معبدهم شاخصة الى اليوم ، معروفة لدى سكان جبل

(١) ج ١ ص ٣٦١ من تاريخه المطول

(٢) راجع المشرق ٧ ـ ٢٧٤

الشيخ بقصر عنترة . وهذا شأن قلاعهم وحصونهم القائمة الي الآن في مجدل عين جر. و« حرمون المؤلـّه» هو عين امون الذي الـّـه في مصر باسم الروح الخفي . وفي لبنان مدن كثيرة منسوبة الى أمون كعرمون وقلمون . . . وقد كان المستشرق الالماني « فلهاوزن » (١) يبحث عن أساس منشأ الآلهة في جزيرة العرب ، التي نقلتها قبائلها المهاجرة الى أطرافها المجاورة ، كالعراق والشام ومصر ، اذ مفهوم ان لآلهتهم المعبودة في مواطن هجرتهم ، أصولها الدفينة في آثار جزيرة العرب التي لم تنبش بعد ، كالربع الخالي واليمن ومدائن صالح والبحرين وقد وجد الاثريون في القليل القليـــل الذي اكتشفوه من آثارها عشتار والزهراء اليمانيتين ، وسواهما الكثير .

٤ ــ القحطانيون القضاعيون عام ١٥٠ الى ١٠٠ ق م

نزل هؤلاء لبنان ، يحملون آلهتهم مـــن الاوثان التي جاؤا بها من جزيرة العرب ايضا ، شأن اخوتهم الكنعانيين الذين حملوا معهم عشتار والزهراء . وقد اعتنق جماعة من مجموع القبائل الوثنية اللبنانية المارة ، المسيحية ، منذ زيارة سيدنا المسيح لصيدا عام ٣٢ م وسيمر بك تفصيل ذلك

(١) راجع المراسلات التي دارت بين « فلهاوزن » وشيخ العروبة العلامة احمد زكي باشا .

٥ ـ الهمدانيون عام ٦٣٦م ـ ١٤ هـ

ان اول الموجات الاسلامية التي استوطنت لبنان ، هي موجة الهمدانيين الاوزاعيين سكان مدينة بيروت .

٦ ـ الفرس الذين وفدوا لبنان ايام معاوية عام ٦٦٣م ـ ٤١هـ

كانت جماعة من الفرس القدامى ، الذين وفدوا الى لبنان قبل الاسلام ، تدين بالمجوسية ، اما الذين وفدوا في عهد معاوية ابن ابي سفيان ، فقد كانوا مسلمين .

٧ ـ بنو خزاعة عام ٦٣٦م ـ ١٤هـ

كانوا يدينون بالاسلام ، لان هجرتهم الى لبنان ، كانت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٨ ـ بنو مراد عام ٦٦٧م ـ ٤٥هـ

هاجروا الى لبنان من موطنهم الاصلي شمال الشام ، وهم يعتنقون المسيحية . ولم يكونوا من اليعاقبة او النساطرة ، لان البطريرك يوحنا مارون نقدهما (١) ولم يكونوا من الارثوذكس (٢) لان دولة الروم البيزنطية الارثوذكسية كانت تضطهدهم كل اضطهاد ، فقد هدمت دير القديس

---

(١) تنوير الاذهان ٢ ـ ٦٩ (٢) تقاليد فرنسا لهانوتو الطبعة العربية ص ٧

مارون واستباحت دماء رهبانه مغالاة بعقيدتها (١) ولم يكونوا من الآريوسيين لندرة اتباع آريوس في شمال الشام (٢) والذي نتحققه ان مذهبهم كان كاثوليكيا ، الا في بعض الطقوس ، لذلك سهل عليهم ان ينضووا فيما بعد ، تحت جناح رومية ، وقد اختلف المؤرخون في عهد هذا الانضواء ، على اوجه كثيرة واشهر تلك الاقوال ، هي انه كان في عام ١١٨٢ م ، على ان العلامة الدويهي ، يعلن صراحة انهم لم يفارقوا رومية منذ نشأة كنيستها ابداً ، ولا غرابة في قوله ، فان القديس بطرس ، قد انتقل من انطاكية الى رومية ، هذا هو الصحيح ، خلافاً لما اذاعه اللوثريون انه انتقل الى بابل ، واختلاف المؤرخين هذا ، لا يضير الحقيقة شيئا ، ما دامت شواهد الانضواء قائمة .

---

(١) تقويم البلدان ص ١١٤ وتاريخ البطريرك الدويهي ص ٤٠ و ٧٤ و ٨٠ واليعاقبة نسبة الى يعقوب البردعي والنساطرة نسبة الى بطريرك القسطيطينية نسطوريوس وهما كالمكدونيين والابيونيين يريان للمسيح طبيعة واحدة هي الالوهية جسداً وروحاً مات نسطوريوس عام ٤٤٠ م راجع دائرة معارف البستاني ٣ـ٧٥٠ . وكتاب الارتقات « المرتقات »

(٢) ولد آريوس عام ٢٨٠ وتوفي في عام ٣٣٦ وخلاصة مذهبه « ان الله كان موجوداً وحده قبل خلق الابن والروح القدس ، ثم تعلقت ارادته بايجادهما فاوجدهما من العدم ، فلا يقارن به احدهما

٤ ـ التنخيون اللخميون من ٥٥٠ م الى ٧٥٨ ﻫ

عرف قراؤنا ان اللخميين و التنوخيين الذين وافوا لبنان قبل الاسلام عام ٥٥٠ م كانوا يدينون بالمسيحية ، وبطبيعة الحال يدركون ان الذين وافوه منهما بعد الاسلام من عام ٧٥٨ لعام ٨٢٠ وافوه مسلمين .

* * *

وفي القرن الحادي عشر للميلاد والخامس للهجرة ، فكر ابو علي منصور الحاكم بأمر الله هو ووزراؤه ان يوثـــق الصلة المذهبية بين مصر والشام ، فانتدب احد وزرائه حمزة بن علي الزوزني على رأس وفد ليقوموا بمهمة نشر المذهب الاسماعيلي الفاطمي بالشام ، ويبشروا بالخلافة الفاطمية وفضل خلفائها وسمو مكانتهم بين آل البيت النبوي المطهر ، لما بلغ

بوجه من الوجوه ، راجع دائرة معارف وجدي ١ ـ ٢٢٢ ، وبقي مذهبه منتشرا لا سيما في مصر وشمال افريقية واسبانيا والشام ـ من حيفا للاذقية ـ حتى عام ٦٢٨ اذ صدر امر امبراطوري بابادة اتباعه وحرق مؤلفاتهم . لذلك نؤكد ان المراديين الموارنة لم يتصلوا بمذهبه بتاتا ، لان مذهبة قضي عليه في لبنان عام ٦٢٨ والموارنة المراديون نزلوا لبنان عام ٦٦٧ ، اي بعد انتهاء مذهبه بتسعة وثلاثين عاماً . ومفهوم ان الاريوسية لم تصل الى ديار ربيعة وبكر ، منطقة المراديين الموارنة في شمال الشام . راجع المشرق ١١ ـ ٧٧ وتاريخ الدويهي ص ٣

الحاكم من سوء الدعايات التي كان يقوم بها العباسيـون بالشام والعراق ضد الخلافة الفاطمية ، كما ارسل مثل هذه البعثة الى اليمن لهذه المهمة نفسها (١) وقد اختار هؤلاء الدعاة ان ينزلوا بين القبائل العربية البعيدة عن مراكـز السياسية فنزلوا وادي التيم لوجود رجال به كانوا يحملون روح المذهب الاسماعيلي الفاطمي من قبل . وعرفوا — اي حمزة ورفاقه — بالموحدين ، وهو الاسم الخاص بهم في مصر والمغرب . وقـد أحس الولاة بدمشق بمقدم هؤلاء الدعاة فجهزوا حملة عليهم عام ٤٠٤ هـ (٢) وهذا شأن الذين انتقلوا منهم الى الجبل الاعـلى فقد قاومهم ولاة انطاكية هناك عام ٤٢١ هـ (٣)

وقد أذاع أشياع العباسيين حول حمزة ورفاقه نطاقـاً من التهم المنفرة ، شأنهم في الصاق التهم في الخلفاء الفاطميين أنفسهم ، الذين يقول فيهم أمير الشعراء :

أخذ الله لهم من حاسد في النسب الطاهر قال ولغى

وقد ظل حمزة بن علي ورفاقه وأتباعهم في حجهم وصيامهم وصلاتهم وعباداتهم على أصول المذهب الاسماعيلي الفاطمي ، حتى بعد انطواء الدعوة السياسية بانطواء الدولتين العباسية والفاطمية . والذي يدلنـا على انهم كانوا في عباداتهم على

---

(١) راجع كتاب « المرأة في السياسة والاجتماع » ٢ — ١٠٥

(٢و٣) راجع خطط الشام ١ — ٢٤٦ و ٢٥١ و ٢ — ٢٦٩

أصول المذهب الفاطمي ، ان المــؤرخ الموحد صالح بن يحي (١) ذكر ان والده وزمرة من اصحابه المـوحدين ، أدوا فريضة الحج الى بيت الله الحرام في حياته ، كما اقاموا مسجداً لهم في بلدة عبية في حياته ايضــا ، على ان تاريخ الموحدين حافل باقامة المساجد ، فهذا زعيمهم الديني الكبير عبد الله السيد التنوخي (٢) قد شيد مساجد لهم في جميــع قرى الشوف . ولعله اختلط الامر على بعض الكاتبيين بين سحنون التنوخي (٣) ناشر مذهب الامام مالك في المغرب وعبد الله التنوخي مشيد مساجد الشوف ، حين قال عنه مالكي المذهب كسحنون ، وسبب هذا الاختلاط هـو وجــود الفاطميين لاول مرة في المغــرب ، ووجود سحنون هناك . وآخر مسجد شيده الموحدون في لبنان هو مسجد بلدة المختارة الذي انفق على عماره بشير قاسم البزبكي وأتمــه عام ١٨١١ م (٤) .

---

(١) متوفي عام ٨٢٨ هـ ١٤٢٥ م راجع كتابه تاريخ بيروت المطبعة الكاثوليكية عام ١٩٢٧ بيروت

(٢) متوفي عام ٨٨٤ هـ راجع ترجمته في خطط الشام ٦ ـ ٢٧٢

(٣) هو عبد السلام بن سعيد التنوخي الحمصي المغربي المتوفي عام ٢٤٠ هـ وقد يكون سبب الاختلاط كونهما من قبيلة تنوخ

(٤) راجع تنوير الاذهان ٢ ـ ٥٤

وقد بحث كبار المستشرقين امثال المستشرق الفرنسي دي ساسي والمستشرق الالماني سبلند وسواهما ، اساطير السكينية الدرزية (١) التي نسبت خطأ الى الموحدين ، كعبادة العجل ، واستحلال المحرمات ، وقد بحثنا المؤلفات الخطية المنتشرة في اوربا باسم الموحدين ، فعينا الفرق بين تلك الاساطير التي استأصل الموحدون جميع قائليها ، وقضوا عليها في مهدها ، وبين ما عليه الموحدون من اصول مذهبهم الاسماعيلي الفاطمي المسطور في مؤلفات حمزة بن علي وتلاميذه ، كالسجل المعلق الذي علقه حمزة نفسه على ابواب مساجد القاهرة ، وفيه الدعوة الى اركان الاسلام الخمس المشهورة (٢) التي يقوم عليها مذهب الفاطميين ، وكرسالة تحريم الخمر التي نهض بالدعوه اليها في مصر والشام ابو علي الشيخ مرعي حمادة ، تلميذ العلامة الكبير عبد الله التنوخي

---

(١) السكينية فرقة الدرزي التي خرجت بعد ايام حمزة بن علي في وادي التيم، تدعو الى تعاليم ليست في كتب حمزة الموافقة للمذهب الاسماعيلي ، وقد ناهضها الموحدون وقتلوا جميع أفرادها وهم يكرهون الدرزي ويتبرأون منه ، ولا يحبون النسبة اليه ، ومن اجل ذلك نسبهم اعداؤهم له إغاظةلهم فقالوا عنهم :درزين ثم حرفها العامة الى دروز. راجع تنوير الاذهان ٢ـ١٢١ وذخائر لبنان ص ١١٦

(٢) راجع كتاب « اصل الاسلام وفروعه للمؤلفين »

الملقب بالسيد (١)

اذن ، فالاعتماد على المخطوطات الدرزية السكينية ، المدسوسه على مذهب الموحدين الاسماعيلي ، خطأ ارتكبـه محمد عبدالله عنـان (٢) ومحمد فريد وجدي (٣) واحمـد القرماني (٤) ... ومن جرائها حملوا حملاتهم العنيفة حتى على الحاكم بامر الله نفسه ! ! ولكن البحاثة المحقق المستشرق الالماني سبلند ، قد كفانا التحقيق حين درس تلك المخطوطات. مدادا وورقا وخطوطاً بالوسائل العلمية الحديثة ، ثم اعلن

---

(١) آل حمادة الموحدون فخذ من آل شويزان التنوخيين ومن هذه العائلة شيوخ عقل مشهورون كالشيخ حسين حمادة الذي تلقى علومه الفقهيه على الشيخ احمد عباس الازهري، كما تلقى الشيخ سعيد حمدان الموحد علومه الفقهية على الشيخ محي الدين اليافي . راجع تنوير الاذهان ٣ ـ ٤٤٣ و ٤ ـ ٥٥

اما ال حمادة السنيون فقد هاجروا من مصر بعد ان دخلها نابليون والاماميون فوطنهم جبة بشراي ثم لبنان الشرقي .

راجع نبذة في الاسرة الخازنيه ص ٣٧ ، دار كتب بيروت رقم ٩٢ ـ ٩٢ ـ ٣

(٢) راجع كتابه « الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية»

(٣) راجع دائرة معارفه مادة « درز »

(٤) راجع كتابه « اخبار الدول واثار الاول » ص ١٩١ طبع بغداد عام ١٢٨٢هـ

نتيجة دراسته في اوروبا عام ١٩٠٢ ، ان عمر تلك المخطوطات لايزيد على ثـلاثة قرون » (١) مما يدل القـراء ان الخرافات السكينية قد تناقلها الناس في الشرق والغرب (٢) واتخذوها كوسيلة للطعن على الموحدين الاسماعيليين . ومن المؤكد ان اول وضعها وافترائها لم يتجاوز الثلاثة قرون حسب تحقيق العلامة سبلند ، وكم من قرون واجيال بـين الخرافات السكينية الدرزية التي لم تدع الا منذ ثلاثة قرون وبين مذهب حمزة بن علي الاسماعيلي الفاطمي الذي يعتنقه الموحدون منذ الف وسبعة وسبعين عاما اي من عام ٤٠٤ هـ لعام ١٣٨١ هـ

والواقع ان رؤساء الموحدين الدينيين الحاضرين لايعترفون بخرافات السكينية الدرزية وقد ناهضوها قديما وحديثا ، (٣) فكيف تتخذ اداة للنقد والقدح ؟ وحين رأى العلامـة المؤرخ والبحاثة السياسي ابراهيم بك الاسود اللبناني المعاصر، ان الامر قد غم على كثير من الكاتبين في الشرق والغرب قام بدراسات طويلة ، لأصول المذهب الاسماعيلي الفاطمى الذي يعتنقه الموحدون فكانت خلاصة دراسته عن الموحدين الحاضرين ، بعد ان عاشرهم طويلا ما يلي :

---

(١) راجع مجلة المشرق ٥ ـ ٨١٢ و ٢٤ ـ ١٦٠

(٢) راجع تاريخ سيديو ، الطبعة العربية مصر ١٣٠٩ هـ

(٣) راجع في خطط الشام ٦ ـ ٢٧٢ ما كتبه امير البيان

« هم يقرون بالشهادتين ، ويقولون نحن مسلمون ويكرهون عبادة الاصنام كراهة شديدة ، ونسبة عبادة العجل اليهم خطأ فاحش ، فانهم يؤمنون بان الله إله واحد ، ويعتقدون بان القرآن الشريف قديم منزل ، ولكنهم يخالفون اهل السنة في تفسير بعض آياته ، ويؤمنون بالانبياء وبالسيد المسيح منفياً عنه الالوهية والصلب ، وشعائرهم في الزواج والطلاق والصلاة على الجنائز والختان كشعائر المسلمين ، ولكن جرت العادة عندهم ان لا يردوا طالقاً ، ولا يجمعوا بين زوجين ، وقد امروا بالصلاة والصيام وحفظ القرآن الشريف » (١)

وقد افاض في ما ذكره ابراهيم بك الاسود بصورة واسعة الاستاذ الموحد رفيق وهبه لدى دراسته في الازهر الشريف في رسالة قيمة القاها على جمهرة من علماء مصر في نادي الشبان المسلمين (٢) ، وقدم لها ببيانه الرائع وتحقيقاته البحاثة الاستاذ الشيخ عبد الله العلائلي ، كما ان الاستاذ الكبير عمر فروخ افاض في مسألة الاحوال الشخصية المتصلة بمذهب الموحدين لدى بحثه في المذاهب الاسلامية كافة . (٣)

---

(١) راجع كتابه « ذخائر لبنان » ١٣٠و١٣١

(٢) عنوانها : الجامعة الاسلامية وموقف الدروز منها » طبع دار الصاوي مصر ١٣٥٨و١٩٣٩ .

(٣) راجع كتابه « الاسرة في التشريع الاسلامي » بيروت —

والآن لا نعتقد ان القراء يقبلون تلك الاساطير المذاعة حول الموحدين ، بعد هذا الاستعراض العلمي الواسع ، اذ مفهوم لاقل الناس نظراً ان الاساطير والتهم يتراشق بهـا الناس اذا غضبوا ، لنزق عقولهم ، ووهن انفسهم ، وان كان الحس وواقع المعرفة يكذبها .

خذ اسطورة نسبة هجـوم الموحدين على مكة ، وقتلهم بعض الحجاج وقذفهم في بئر زمزم ، واخذهم الحجر الاسود الى نجد ، فانك تجد هذه الحادثة وقعت من جماعة جاهلة لا تدين بالاسلام ، ولا بالعروبة ، عام ٣٧٧ هـ . والموحدون وجدوا عام ٤٠٤ هـ (١)

وهكذا يأبى الله سبحانه وتعالى ، الا ان يظهر الاكاذيب والاباطيل ، مهما حاول واضعوها ان يحسنوا وضعها من الناحية الفنية التاريخية ، اذ الثوب البالي لا بد ان يمزق متى لمس كما قال امير الشعراء :

ـ وحائط البغي إن تلمسه ينهدم ـ

ـ الطبعة الاولى ١٩٥١ ص ١٣و٧٢و١٥٤وكتاب الدروز» للكابتن بورون ، الترجمة العربية ـ حريصا . مطبعة القديس بولس .

(١) هذه حادثة القرامطة ولا يوجد بينهم وبين الموحدين صلة ما ، بل لا يوجد صلات حسنة بينهم وبين الدولة الفاطمية اذ هاجموا القاهرة ايام المعز لدين الله الفاطمي عام ٣٦١ بقيادة رئيسهم الاعصم راجع دروس التاريخ الاسلامي للخياط ٤ـ١١٦

والذي حدا بنا الى الافاضة في مذهب الموحـــدين ، هو ما يتناقله العامة والجهال الى اليوم ؛ من اساطير في اوساط الشعب اللبناني ؛ مما يحـــدث قلقاً واضطراباً بـــين افراده وجماعاته ، وبذلك لا تقوم وحدة ، ولا اخوة ولا تفاهم ولا ثقة ولا اطمئنان .

الازديون من القرن ١٢ الى ١٥ م ـ ٦ الى ٩ ه

وافوا لبنان وهم مسيحيون ارثوذكس وظلـــوا كذلك الى الآن ، الا ان بعضهم اعتنق المـــذهب الكاثوليكي ، وبعضهم المذهب اللوثري ـ البروتستان ـ لكثرة الدعاة لهذين المذهبين .

الشهابيون عام ١١٧٢ م ـ ٥٦٢ ه

جاءوا من حوران مسلمين سنيين ، ثم اعتنق بعضهم مذهب الموحدين الاسماعيلي وبعضهم المسيحية (١)

الوائليون عام ١٢٠٠ م ـ ٥٩٥ ه

جاءوا من نجد مسلمين اماميين ، ولا يزالون كذلك الى اليـــوم .

---

(١) هناك بحث يتناول الذين تنصروا والذين اسلموا من القبائل اللبنانية ارجأناه للكتاب الآتي

التركمان والاكراد عام ١٣٠٧ م - ٥٠٧ ه

وافوا لبنان مسلمين سنيين ولا يزالون كذلك

الارمن عام ٧٥٩ م - ١٣٩ه

وافوا لبنان نساطرة وارثوذكس ، ثم تذهب بعضهم بالكاثوليكية والبروتستانتية .



انسان لبنان والمسيحية

انبثق فجر المسيحية في فاسطين ، وكان لبنان لا يزال وثنياً ، ما خلا بعض الاسر اليهودية التي فرت من ضربات نبوخذ نصر وتيطس وأدرينال وأمثالهم ، واول ظاهرات المسيحية في لبنان ، كانت بمناسبة زيارة سيدنا المسيح لتخوم صور وصيدا (١) ، إلا ان الذين اعتنقوها على يده او يد تلاميذه ، لم يستطيعوا إعلان إيمانهم ، لقلتهم وشــدة بطش الرومان ، بكل من توافي اليهم نبــأ ايمانهم بسيدنا المسيح ، سواء في كل لبنان او سواه من مستعمراتهم ، لذلك ظل المؤمنون به يخفون إيمانهم طوال ثلاثة قرون ، حتى أعلن الامبراطور قسطنطين عام ١٢م اعتناقه المسيحية وتأييدها ، والقضاء على الوثنية ، وتحويل هياكلها الى كنائس . وقد جر هذا الامر الى إراقة دمــاء ليست بالقليلة ، وظلت الوثنية تناضل على الرغم من كل تلك الابادة والعنف ، حتى تولى العرش الامبراطور يوليان عام ٣٥٩ م وكان يخفي وثنيته ، فأعلنها وامر باعادة الهياكل الى الوثنيين ، ومنهــا هيكل الزهراء في أفقا — لبنان — وقد انتهر الفرس فرصة اشتغاله بالثورات الداخلية . فجهزوا حملة لاجتياح بــلاده فيها كثير

---

(١) مت ١٥ — ٢١ ومر ٣ — ٨

من العرب ، فاستمات هؤلاء في المعارك حتى قتلوه عام ٣٦١ م لذلك لم يكد يتولى العرش بعده الامبراطور بونيالوس (١) حتى استفتح عهده بمحاولة القضاء على الوثنية في كل أطراف مملكته ، ولكن لم يدم الحال طويلا ، إذ جاء بعده الامبراطور او اليس (٢) فانتصر للوثنية انتصار يوليان من قبل ، وظل يناهض المسيحية أربعة عشر عاماً ، حتى قتل في بعض حروبه وهكذا ظلت المعــارك والمجادلات ، بين الوثنيين والاباطرة المسيحيين سجالا ، الى ان تولى عرش المملكة الامبراطور جوستنيان الاول فأراد ان يضــع حدا للوثنية واعـد عدته لاستئصال شأفتها ، وقد تم له ذلك ، وما كاد يأتي عام ٥٦٥ وهو عام وفاته ، حتى لم نر للوثنية من نــأمة او حركة تدل على حياة ، اذ صودرت جميــع هياكلها وحولت الى كنائس في جميع انحاء الامبراطورية (٣) ومن هنا نــدرك السبب الذي مــن أجله ظــل اللبنانيون ستة قرون ولم

(١و٢) يختلف المؤرخون في لفظ بعض اسماء الاعلام حسب اختلاف اللغات في نطقها، وقد اعتمدنا في نقل هذين الاسمين على تاريخ الدول واخبار الاول ص ٣٧٤

(٣) حسب القارىء ان يعلم ان مدينة غزة وحدها حول بهــا ثمانية هياكل الى وثنية، راجع ترجمة غزة في كتاب «مرشد الطلاب لجغرافية الكتاب المقدس» وترجمة الامبراطور ثيودسيوس في تاريخ سيديو وتاريخ ابي الريحان البيروني ص ٩٥

يحتاجوا الى تشييد كنيسة ، إذ اكتفوا بهيا كل الوثنية التي حولها الرومان الى كنائس ، واول كنيسة شيدها اللبنانيون بأموالهم ، كانت في القرن السابع ، اي في عهد الامبراطور جوستنيان الثاني المعروف بالاخرم الذي تولى الملك من عام ٦٦٥ لعام ٦٨٥ م (١)

والذي يعنينا من هذا البحث ، هو ان جميـــع الهيا كل الوثنية في لبنان حولت الى كنائس وأديرة ، ما خلا بعض معابد هجرت وظلت أطلالا شاخصة تتناقل الناس حجارتها وآخر معبد وثــني أخـــذت بعض حجارته هـــو معبد « جوبيتر » في بيت مري ، نقلت الى بيروت في عهد المطران يوسف الدبس المتوفى في عام ١٩٠٧ واتخذت في تشييد كنيسة القديس جورجيوس في شارع الامير بشير (٢)

واول أسقفية مسيحية ظهرت في لبنان ، هي اسقفية صيدا الارثوذكسية ، التي حفظ لنـــا التاريخ اسم اول اساقفتها ، هو عطـــاء الله الذي اطلق عليه الرومان اسم ـ ثيودور ـ وقد حضر مجمع نيقة الشهير عام ٣٥٢ م (٣)

---

(١) تنوير الاذهان ١ ـ ١٨٥

(٢) تنوير الاذهان ١ ـ ٢٦١

(٣) راجع يوبيل النهضة اللبنانية ص ١٩٤

انسان لبنان والاسلام

فهمنا ان القبائل التي غادرت جزيرة العرب الى لبنان ، منذ ابعد الأزمان الى مطلع فجر الاسلام ، تحمل في اعماق وراثاتها ، مـا تحمل القبائل التي وافت مسلمـة ، من وحدة الروح والنزعة والدم ، هذا اذا أضفنا ان القبائل هنا وهناك ، في لبنـان وجزيرة العرب ، كانوا في وثنية وخرجوا الى دين سماوي هؤلاء الى المسيحية ، واولئك الى الاسلام ، ولا ريب ان الاديان السماوية ، تجمعها وحـدة الايمان بالله والانبياء واليوم الآخر ، ومن هذه الوحدة ، كان الانسجام والتفاهم والصلاة الكريمة ، وهذا حق فـان خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ ، دعا الى ما دعا اليه سيدنا المسيح وسيدنا موسى ، وجميع الانبياء من قبـل ، صلوات الله وسلامه عليهم ، والذي يدلنا على هذه الوحده في الدعوة ، هو قوله تعالى « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف ومسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحي وعيسى والياس ، وكل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً :

وكلا فضلنا على العالمين . ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله ، يهدي به من يشاء من عباده ، ولو اشركوا لحبط عنهم مـــا كانوا يعملون . اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوما ، ليسوا بهـــا بكافرين . اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم أقتده ، قل لا اسألكم عليه اجرا ، ان هو الا ذكر للعالمين » (١)

ومن هنا نـــدرك ان التفاهم اساسي في اصل الدعوة ويستطيع القراء ان يدركوا ذلك من تأييد الاباطرة والولاة المسيحيين للاسلام ، فقد رأينا « هرقل » امبراطور الروم يظهر سروره بالدعوة الاسلامية ، ويتلقى بالرضاء والقبول رسالة خاتم الانبياء ، وهذا شأن والى مصر الروماني البطريرك قـــيرس « المقوقس » اذ اتحف النبي ﷺ بهدايا ثمينـة . كما ان امبراطور الحبشة ــ اصحمة ــ ، استقبل هجرة المسلمين اليه بحفاوة وانتصر لهم مرتين ، لدى تضييق الوثنيين عليهم في جزيرة العرب ، اذ انزلهم في مملكته منزلا كريما ، وكانت هذه الحفاوة لها بواعثها في صميم الاسلام ، اذ نجد ان القرآن الكريم مجد سيدنا المسيح في مواطـــن كثيرة ، واثنى على والدته العذراء الطهور ، وعلى الحواريين الكرام تلامذة سيدنا المسيح ، وقد ادرك النجاشي تلك الوحدة كل

(١) الانعام من ٨٢ الى ٨٩

الادراك ، حتي انه حين تلا عليه جعفر بن ابي طالب اوائل سورة مريم ، رفع مخصرته وخط بها على الارض وهو يقول : ليس بين دينكم ودينا اكثر من هذا الخط » (١)
بل نجد الاسلام يتحمسن للمسحيين حتى في الناحية السياسية فحين انتصر قائد كسرى شهرمان ٦٢١ م على الامبراطورية الرومية ، حزن المسلمون حزناً شديدا لوحدة الروح السماوية، وفرح الوثنيون في جزيرة العرب بنصر كسرى لوحدة النزعة الوثنية بينهما ، ولكن الله سبحانه اراد ان يطمئن المؤمنين بأن اخوانهم الروم سينتصرون على الوثنية في بضع سنين ، اي في سنوات قليلة لا تتجاوز السبع وانزل لذلك سورة تحمل اسم الروم « الم ، غلبت الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين »

وما كادت هذه السوره الكريمة تنزل حتى ضج المسلمون بالفرح واطمأنوا على حياة اخوانهم لذلك لم يكن من العجب ان يشاطر صحابة رسول الله ﷺ ، المسيحيين كنيسة يوحنا في دمشق لصلاتهم وعباداتهم ، هؤلاء يصلون في النصف الشرقي ، وهؤلاء في القسم الغربي طيلة ثمانية وسبعين عاما الى ان دفع الوليد خمسة عشر الف ديناراً ذهبيا شيد بها الكنيسة المريمية الشهيره بدمشق (٢) لقاء تخليهم عن النصف

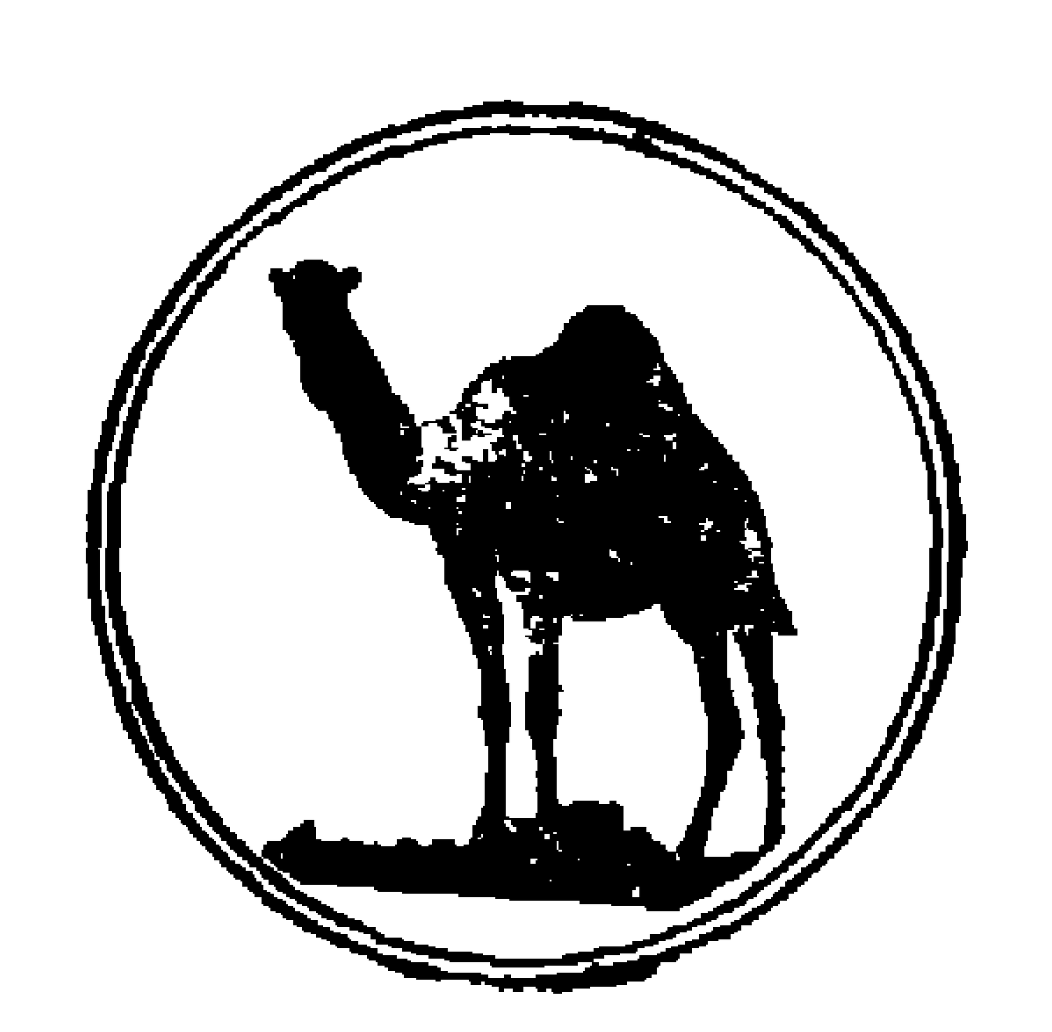
(١) حياه محمد للدكتور هيكل ، الطبعة الثالثة ص ١٥٣
والسيره الحلبية ١ ـ ٣٠٧ و ٣٢١
(٢) سيأتي تفصيل ذلك في الكتاب الثاني في بحث «الوشائج»
راجع خطط الشام

الثاني (١) بل لم يكن من العجب ما يتحدث به المؤرخون من ان الموجات العربية الاسلامية ، التي دخلت لبنان منذ ايام عمر بن الخطاب ، كانت سريعة الامتزاج والتفاهم مع

---

(١) يعجب بعض الكاتبين الاوربيين ، لماذا ابى سيدنا عمر بن الخطاب الصلاة في كنيسة القيامة ، خشية ان تتخذ من بعده مسجداً وهو يعلم جواز الصلاة بها ، بيد ان قائده ابا عبيدة ، وهو ايضا من صحابة رسول الله ﷺ ، شاطر مسيحيي دمشق الصلاة في كنيستهم . والمسئلة دقيقة جداً لانها تتصل بصميم التاريخ الاسلامي . حيث ان كنيسة دمشق وثنية ، وهي معبد لجوبيتر في الاصل ، وقد اغتصبها الاباطرة الرومان من الوثنيين وحولوها الى كنيسة ، كان حكمها غير حكم كنيسة القيامة التي شيدها المسيحيون انفسهم بامر هيلانة أم قسطنطين . ومن هنا يفهم القراء ان الحملة على ان الصحابة تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وآله باحترام الذين عكفوا في المعابد ، ان لا يمسوا لاهم ولا معابدهم، وان وقع حرب من سواهم . هي حملة في غير محلها ، اذ الصحابة كانوا من اشد الناس استمساكا بآداب خاتم الانبياء . واما ما كان من عمل بعض المتأخرين احيانا ، من مسلمين ومسيحيين من تحويل الكنائس الى مساجد او المساجد إلى كنائس ، فبواعثه سياسية لا تتصل بالاسلام او المسيحية . على ان الصحابة احترموا وضع يد الروم على معبد جوبيتر الاعوام العديدة ، ولذا دفع الوليد بعدهم لمسيحيي دمشق الثمن المذكور .

قبائل لبنان ، والمقصود من ذلك ، ان القبائل العربيـــة المسلمة ، حـــين وفدت لبنان لم تكن غريبة عن قبائله في ناحية ما ، وهو الذي يعلل سرعة الامتزاج والتفاهم الذي تم ، ويكشف البواعث الحقيقية التي دفعت القبائل المهاجرة من قبل الى لبنان لتهيئة الاساطيل لمعاوية ابن ابي سفيان وتدريب جنوده على ركوب البحر والتغلب على عواصفه ، وقد نقش الاستاذ مصطفى فروخ بريشته الفنانة البارعة لوحة تاريخية تكشف مدى الصلات الوثيقة بين القبائل التي هاجرت من جزيرة العرب الى لبنان مـــن قبل ، والقبائـــل التي استوطنته مسلمة ، ومدى المساعدات التي قدموها لاخوتهم . وهذه اللوحة معروضة في الجامعة الاميركية في بيروت ، لتكشف الصلة الكريمة التي نوهنا بها .



منازل انسان لبنان

لا بد من تحديد معاني الكلمات تاريخياً ، وبيان مقصودنا من إطلاقها اليوم ، قبل السير في تلاوة هذا الفصل . ان كلمة سورية كما مر بنا ، كانت محصورة في القسم الشمالي من الشام ، كما ان كلمة لبنان ، كانت محصورة في إطلاقها على الجبل فقط ، اما كلمتا الشام وآرام ، فهما كلمتان مطلقتان منذ أقدم الازمنة ، على هذه البلاد بأقسامها الاربع المعروفة اليوم سورية ، لبنان ، فلسطين ، شرق الاردن . ومأخذ إطلاقهما هـذا في قواميسنا العربية السامية قديما ، هو هجرة القبائل من جزيرة العرب الام الى هذه البلاد ، وحلولها في المواطن المرتفعة إذ جاء في معنى لفظة آرام الارتفاع ، لذلك حين اسس الكنعانيون الفينيقيون ، مدينة اللاذقية على هضبتها المعروفة ، أطلقوا عليها اسم « راميثا » (١) اي العالية . وقـد مر بنا ان أشرنا الى اطلاق ذلك في القرآن الكريم ، ولفظة شأم التي أطلقتها القبائل العربية المهاجرة على هذه البلاد ، وجعلتها شاملة لاقسامها الاربعة ، هي مرادفة للفظة آرام تحمل ايضا معنى الارتفاع ، كما ذكره علماء اللغة المتخصصون ،

(١) راجع المشرق ٢٢ ـ ٤٨٣

إذ جاء في قاموس الشيخ عبد الله البستاني « فاكهة البستان » ان الشام معناها الكثبان . (١) وذكر الاب لويس معلوف اليسوعي في قاموسه المنجد ، انه يقـــال : أشأم فلان إذا مر رافعاً رأسه . (٢)

واذا راى فريق من علماء اللغة ، ان مأخذ شآم من الشمال ، لانها تقع شمال الكعبة ، كما ان اليمن لانها تقع جنوبها اي يمينها ، فأنه لا يناقض قول من قال : ان مأخذها من الارتفاع ، ما دامت القبائل المهاجرة من جزيرة العرب على مدا الحقب ، اطلقت لفظتي شآم وآرام على مجموع مناطق هذه البلاد .

اما لفظة لبنان ، فنحن لا ننكر انها تطلق لغويـــاً على الجبل فحسب ، كما ذكر ذلك الاب لويس معلوف بقوله في المنجد (٣) : « لبنـــان جبل في بر الشام ، لان الثلج لا يبرح قممه العالية » . وكما قـــال سعيد الخوري الشرتوني صاحب كتاب « أقرب الموارد » (٤) « لبنان جبل بالشام » ومثل ذلك في القواميس الاجنبية (٥) وقد قال الفيلسوف

---

(١) ١ ـ ١١٧٩

(٢) ٣٨٠

(٣) ص ٧٥٨

(٤) ٢ ـ ١٢٧

(٥) قاموس لاروس لعام ١٩٥١ ـ ص ١٤٦٥

الروماني جونيوس عن بعلبك « قريبة من لبنان (١) ، والعهد القديم اطلق لفظة لبنان على هـذا الجبل نفسه في خمسين موضعا ، وقال في العهد الجديد عن امرأة من صيدا « فينيقية سورية » (٢) وقال عن سيدنا المسيح « فذاع خـبره في جميع سورية » (٣)

نعم نحن لا ننكر كل ذلك ، ولكن الذي نريد ان نقوله كما توسع الاقدمون في اطلاق لفظة سورية ، فقد توسع المحدثون في اطلاق لفظة لبنان . فاذا وجدنا القراء نذكر من انسان لبنان ، القضاعيين الذين كانوا يسكنون جبل عاملة ، والخزاعيين الذين كانوا يسكنون بعلبك ، والكنعانيين الفينيقيين الذين كانوا يسكنون صور وصيدا ، والايتوريين الذين كانوا يسكنون طرابلس ، والهمدانيين الذين كانوا يسكنون بيروت فانا نقصد بكل تأكيد ، الاطلاق الحديث ، ولا نرى اننا البسنا اسما لجماعة كانت تجهله تاريخيا ودينيا ولغة وجغرافيا ، لان الالفاظ تضيق وتتسع ، وهي في ضيقها واتساعها ، تعبر عن اتجاه الناس ومقاصدهم

ولئن احتج علينا بعض القارئين ، في اننا اطلقنا اسم انسان لبنان ، على جماعات ما كانت تدري انهـا منه ، فجوابنا بسيط ، هو ان الاصلاح الحديث الذي تم عـام ١٩٢٠ م ، هو في الواقع لم يضف الى لبنان انساناً غريباً

---

(١) متوفى عام ٣٥٠ راجع المشرق ٢٩ـ٤١٩

(٢و٣) راجع مت ٢٤ـ٤ـ ولو ٢ـ٢ ومر ٧ـ٢٦

عنه ، في دمه ولغته وتاريخه ومصالحه ، اذ هو هو وان اختلفت الاسماء ، لان الالفاظ المتعددة التي تتداول الشيء الواحد ، لا تخرجه عن ماهيته ابداً ، فهي بهذه المثابة كالاثواب المتعددة التي يلبسها الشخص الواحد . فآرامي وشامي وعربي وفينيقي وايتوري وبابلي وكلداني ونبطي وسرياني ... يقصد بها كلها شيء واحد ، هو الانسان الذي هاجر من جزيرة العرب ، من قبل التاريخ وبعده . حتى لو اطلقنا اسم انسان قبنان ، على كل بلاد الشام ، لصدق الاطلاق ، ما دام الانسان المقصود هو هو . وهذا الذي جعل الرومان واليونان لديماً ، يطلقون اسم سورية على بلاد الشام ، اذ وجدوا انسانه هو هو هنا وهناك ، اذن فاذا اخذنا بالاصطلاح الحديث وذكرنا منازل انسان لبنان وفقه نكون صادقين .

★ ★ ★

والآن يمكننا ان نستعرض لقرائنا انسان لبنان ، منـــذ ثلاث وعشرين قرنا ، حسب الاصطلاح الحديث ، فنشاهده آهلا بالقبائـــل ، الكنعانية والآرامية والايتورية والقحطانية والقضاعية . فمنازل الكنعانيين الساحل ، ومنازل الآراميين الجبال ، ومنازل الايتوريين الجبال وبعض مدن الساحل ، ومنازل القحطانيين والقضاعيين جبل عاملة . وقد ظل انسان لبنان محتفظاً بالاسم القبلي الذي تمتاز به جماعاته ، حتى القرن الخامس للميلاد ، اذ فيه تلاشت ونسخت من الاذهان ، التسمية القبلية ، وحل محل اسماء فينيقية وايتورية وآرامية

وقحطانية وقضاعية ، أسماء المذاهب الدينية من ارثوذكس ويعاقبة وأريوسيين (١) وكاثوليك . ولكن الدولة الرومية كانت تضيق ذرعا باليعاقبة والاريوسيين ، وتراهم مرتدين ، فأثارت عليهم الفتن في كل ممتلكاتها ، لبنان وسواه ، مما اضطرهم ان يهاجروا الى جزيرة العرب والعراق وفارس ، ولم يبق في لبنان منهم الا القليل النادر ، لذلك نجد اللبنانيين آخر العهد الرومي قلة تقطن الساحل ، اما الجبال فقد كانت اذ ذاك خالية (٢) والذي يدلنا على ان اللبنانيين كانوا قلة في القرن السادس والسابع للميلاد والاول والثاني للهجرة ، ان الدولتين العربيتين الاموية والعباسية ، شجعتا الهجرة الى لبنان ، اهتماما بعماره وتكثير ساكنيه ، كما مر معنا في بحث إنسان لبنان ، وهكذا نجد في أواخر القرن السابع للميلاد ، والاول للهجرة اي عام ٦٦٧ م و٤٥ ه المراديين المسيحيين الموارنة ، يهبطون لبنان فيقطنون البترون (٣)

(١) قد ترك الاريوسيون لبنان عام ٦٢٨ م اي قبل مجيء الهمدانيين والخزاعيين المسلمين بثمانية أعوام ، وقبل مجيء المراديين المسيحيين الموارنة بتسعة وثلاثين عاماً كما سلف

(٢) راجع تنوير الاذهان ٢ـ ٦٩ و ١ـ ٢٩٩ وذخائر لبنان ١١٠ و ١١٩ و ١٣٦ . وكلاهما لابراهيم الاسود

(٣) ذكرنا البترون باعتبار شمول هذه اللفظة لقرية بقسميا التي اتخذها المطران يوحنا مارون الرومي ـ نسبة الى محل ولادته سروم قرب السويدية ـ موطنا له الذي عرف عام ٦٨٦ ببطريرك إنطاكية وتوفي بهذه القرية عام ٧٠٧ ، لا نفس البلدة المسماة بالبترون

وما جاورها من الساحل ، والكنعانيين المسيحيين الارثوذكس ، يقطنون الكورة والمدن الساحلية ، والكنعانيين المسيحيين اليعاقبة يقطنون جونية ، والاوزاعيين المسلمين السنيين يقطنون بيروت ، والقضاعيين المسلمين الشيعة يقطنون جبل عاملة ، والخزاعيين المسلمين الشيعة ، يقطنون بعلبك . كما نرى في القرن الثامن للميلاد والثاني للهجرة التنوخيين واللخميين من السنة والشيعة ، يقطنون كسروان والمتن والشوف ، وإقليم الخروب ووادي التيم . وفي القرن الحادي عشر للميلاد والخامس للهجرة، نرى التنوخيين المسلمين الموحدين يسكنون الشوف ووادي التيم ، والمتن وكسروان .

وقد ظل اللبنانيون يقتسمون منازلهم على هذا النحو الذي اتفق عليه جميع المؤرخين ، من عام ٦٣٦ م و١٤ هـ الى عام ١٣٠٥ م و ٧١٧ هـ إذ افضى امر مصر والشام . الى يد المماليك ، من جراكسة وأتراك ، وفي عهدهم أسكنوا في كسروان ، جماعات من التركمان والاكراد والسنيين ، فامتزجوا بسكانه التنوخيين واللخميين من سنة وشيعة وعلويين (١) وموحدين ، ودام الامر على هذا الحال حتى عام ١٦٥٤ م و ١٠٥٨ هـ إذ طفق يدخل كسروان جماعات من المراديين الموارنة والارثوذكس الغساسنة ، كآل الخازن

---

(١) زار الرحالة ابن بطوطة هذه البلاد في القرن الرابع عشر للميلاد ، والثامن للهجرة فرأى أيضا العلويين يقطنون كسروان ، وقدحقق ذلك العلامة الاب لويس شيخو في مجلة المشرق ٥-٣٦٦

وآل حبيش الذين هاجروا من حوران ، وغيرهم من القبائل والفروع التي مر ذكرها .

وقد رأى اذ ذاك السلطان محمد الرابع عام ١٠٨٢ هـ ، نشاطاً واخلاصاً في آل الخازن ، فأصدر ظهيرا اسند فيه لهم مشيخة كسروان المطلقة بغير أمــد ، واكتفى بقسط من المال يتقاضاه منهم ، كضريبة سنوية ، وان كان رجال القانون اليوم يرون في ضمان الضرائب خرابا للبــلاد ، وافقارا لاملها . وسببا لمغادرتها كما حصل بكسروان ، الا ان القدامى من الملــوك ، كانوا يرون في ذلك راحة لانفسهم ، من عناء الشكاوى والاخذ والرد ، والفتن التي لا يسهل اخمادها لصعوبة المواصلات ، وقد تفاقم استبداد الاقطاع بضرورة الخـال ، فغادر كسروان ، قسم مــن المسلمين السنيين والشعيين والعلويين والموحـدين ، واصبح نهر ابراهيم ، يفصل بطبيعته بين هذه القبائل . ففي شماله المراديون الموارنة والارثوذكس الغسامنة ، وفي جنوبــه اللخميون والتنوخيــون وافخاذهما من معنيــين ولمعيين ، والقضاعيون والشهابيون ، من مسلمين سنيين وشيعيين وموحدين . والذي رآه المؤرخون ، ان تفاقم الاستبداد الاقطاعي في كسروان ، لم يجعل السنيين والشيعيين والعلويين والموحدين المسلمين ، يهاجرون منها فحسب ، بل هاجر معهم ايضا كثير من اخوانهم المردايين الموارنــة والارثوذوكس

الغساسنة ، ولم يكن احتفاء المسلمين الذين يسكنون جنوب نهر ابراهيم باهل مذهبهم المهاجرين ، بأكثر مـــن احتفائهم باخوانهم المراديين الموارنة والارثوذكس الغساسنة ، والذي يدلنا على ذلك هو تشييد الكنائس والاديرة لهم ، فقد نوه المؤرخ اللبناني المعاصر ابراهيم بك الاسود بتشييد الكنائس (١) كما نوه بأريحية الشيخ علي جنبلاط الموحد ، الـذي وهب للموارنة ، ارضا فسيحة ليشيدوا عليها دير المخلص ، وارضاً اخرى جعلها وقفاً للدير ليستغلها في مرافقه (٢) . كما نوه بآل يزبك الموحدين الذين ساعدوا على انشاء دير المشموشة (٣) حتى ان قداسة البابا ، بعث اليهم من رومية عام ١٨٠٦ رسالة يعترف لهم بالجميل ، ويبارك هذه الاخوة التي تربط الجميع ، بالتعاون والمحبة والاخلاص ، ولم يفت المـؤرخ ابراهيم بك الاسود ان يشير الى نبل الشيخ قاسم اليزبكي الموحد ، الذي شيد للمراديين الموارنة ، كنيسة المختـــارة المعروفة عام ١٨٢٠ م (٤) وذكر العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي ، ان الامير عبدالله اللمعي الموحد ، اقام ديراً في صليما عام ١٧١١ م . (٥) وقد وصلت منازل المراديين منذ قرنين الى بلاد بشارة بن مقبل القحطاني (٦) .

(١ و ٢ و٣) راجع تنوير الاذهان ١ ـ ٥٣ و ٢ ـ ٢٥

(٤) راجع ذخائر لبنان ص ١٢٦

(٥ و٦) راجع المشرق ١٩ ـ ١٥٩ و ١٤ ـ ١٩٠ و ١٠ ـ ١٠٣٤

من اين يجيء سوء التفاهم ؟

ما دام الاسلام اعلن من اول يوم ، ان المسيحيين هم اقرب مودة ، وان قلوبهم حافلة بالرأفة والرحمة ، وما دام رسول الله ﷺ ، وهو الداعي الاول والاسوة ، اقـام بنفسه بينه وبين نصارى نجران ومصر والحبشة والشام خير الصلات الكريمة ، فمن اين كان مجيء سوء التفاهم الذي افضى الى تجهيز الغساسنة والروم في (مؤتة) معلنـين كراهيتهم للاسلام ؟ وقد يخال الباحثون ان في المسئلة عقدا لا تحمل ، او معضلات لا تدرك ، والواقع ان المسئلة بسيطة جداً .

معلوم ان للروم سلطانا سياسيا على عرب الشام ، وان معظم الملوك والامراء والقواد مـن عرب الشام ، الذين كانوا يشرفون على توجيه التفاهم السياسي ، بـين الروم والعرب ، يسوءهم جدا ان تنشأ جماعة عربية اخرى ، تحتل مراكزهم ، ولتنشيء بينها وبين الروم ، صلات جديدة من التفاهم والتعارف ، لانهم يرون نشوء صلات سياسية ودية جديدة ، بين الروم وغيرهم من العرب ، قضاء على مراكزهم ومنافعهم الخاصة ، !! لذلك كانوا يلقون المخاوف في نفس الامبراطور الرومي ـ هرقل ـ وانفس بطارقته ، مستغلين اسم النصح والانذار .

ولعل اولئك الملوك والامراء من عرب الشام ، هم الذين

كانوا ببعثون بعيونهم ، ليرجفوا في المدينة المنورة وما حولها بأن الروم سينقضون على الحجاز ، اذ هم يتأهبـون على تخومه ! ! ومن هنـا يستطيع قراؤنا ان يتبينوا البواعث الصحيحة ، التي حدت بهم الى قتل حامل رسائل النبي ﷺ الودية ، الى ملك الروم ، على الرغم من انهم يعلمون ، ان قتل الرسـل يخالف التقاليد السياسية العامة . بين جميع الامم ، لمـا فيه من قطع العلاقات ، واستحالة التفاهم ، وإراقه الدماء ، ولكنهم فعلوا ذلك ليوهموا الروم ، ان هذه الرسائل تحمل إنذارات ومخاوف ، وليوغروا صدور المسلمين على الروم ، والذي يدلنا ان مسألة تجمهر الروم لم تكن في حسبان احد ، ان الذين استنفرهم النبي ﷺ ، لم يستنفرهم إلا لامراء الغساسنة ، الذين قتلوا حامل الرسائل واشعلوا نيران هذه الفتنة من أجل ذلك عجب الصحابة ، حين رأوا جيشاً روميا لجبا ، يحمسه زعماء غسان وامراؤها ، ويبادرونهم بالرمي ، مما اضطـر الصحابة ان يدافعوا عن أنفسهم على قلتهم ، ولولا حكمة خالد بن الوليد ، وحسن تخلصه من المعركة ، لقضي عليهم جميعا ، وهكذا استطاع أمراء غسان وزعماؤهـا النفعيون المنتهزون ، ان يقيموا سداً منيعا من سوء التفاهم ، بين المدينة المنورة والقسطنطينية مطمئنين على استمرار مراكزهم وزعاماتهم وصلاتهم السياسية بالروم ، ومنافعهم الخاصة .

هذا ما كان من تدبير مـكايد الامراء والزعمـاء ، اما

الشعب فهو نبيل جـداً وكريم المحتد ، الا أنـه ككل شعب في الارض . ينقاد لاحابيل الزعماء ، كما قال شوقي :

فيا لله من شعب برىء يصرّفـه المضلل كيف شاء

والذي يدلنا على سمو الشعب ونبل محتده ، ان فريقاً كبيرا منه ، فرحوا برسالة خاتم الانبياء النبي العربي وفهموها مطمئنين لها ، بل حفظ التاريخ رجالا كثيرين من الامراء انفسهم ، امثال الامير فروة بن عمرو الجذامي الارثوذكسي قائد حامية البلقاء ، لم يرضوا بما كان يصنعه اولئك المتهزون من القاء سؤ التفاهم ، واثارة الفتن .

وهكذا قفل من بقـي من اصحاب النـبي ﷺ ، الى المدينة المنورة وفي ظنهم ان الامر انتهى الى هنا ، ولكن اولئك الزعماء ، لم يكفوا عن موآمراتهم حتى استطاعـوا ان يجمهروا الروم مرة ثانية وقد ترامت الانباء الى الحجاز مما اضطر رسول الله ان ينتدب بدوره صحبه مرة ثانية وقد رافقهم هذه المرة ولم يكد يصل الى تبوك حتي استقر بها اياماً يراقب الاحوال . وكم كان سروره ﷺ ، حين لم يجد لهم اثراً واراد ان يفهم اصحابه ان مجيئه الى تبـوك لم يكن المقصود منه التحدي فقال : ماذا ترون ؟ فأجـابوه : ان كنت امرت بالسير ـ اي الى دخول الشام ـ فسر . فاجابهم لو امـرت ما استشرت . (١) ثم عـاد بهم الى

---

(١) لباب الخيار للشيخ الغلاييني ص ١٠٢

المدينة ، ليعلمهم ان حقن الدماء ، مقدم على كل شيء .

وقد فطن شعب الشام بعد ذلك ، الى الحقائق . وفهم ان سوء التفاهم ، لم يكن منشؤه المدينة المنورة او القسطنطينية . ونرى من الواجب قبل نهاية البحث ، ان نعلن ان الفضل في ماهديناه اليه من الحقائق ، يعود الى كلمة العلامة الفرنسي ماسينيون اذ يقول « ليست المسيحية عدوة الاسلام ، وان كـان المسيحيون وقفوا في طريـق انتشار الاسلام » (١) وهو يعني بالمسيحيين هؤلاء الزعمـاء الذين ما خافوا الله في ما فعلوا ، وما فكروا في المسئولية التاريخية التي هي حق الاجيال .

ولو ان زعماء غسان ، كانوا اداة تفاهم وسلام ومودة، بين المدينة المنورة والقسطنطينية ، لما كان يعلم الا الله ما تم من خير وتفاهم وسلام بين الشرق والغرب . ولعل ما فات زعماء غسان في الازمنة الغابرة ، يتداركه في عصرنا زعماء لبنان فيحققوا بوساطة مساعيهم النبيلة وذكائهم ونشاطهم واخلاصهم الوحدة بين الشرق والغرب وسعادتها وسلامها وخيرها وبالحري في هذا العصر الذي كثر فيه المفكـرون السياسيون الـذين يمهدون السبل لذلك ويعبدون الطـرق ويعقدون المؤتمرات ويسطرون المؤلفات .

اجل وجد رجال منذ الحرب العالمية الاولى وهم قد

---

(١) وجهة الاسلام ص ١٨

وضعوا كل نفوذهم وامكانياتهم ، لهذا الامر الانساني الخطير ، ومن منا لا يذكر مبادىء السلام الاربعة عشر التي وضعها الزعيم الانساني الاميركي ، الرئيس ولسن ، رئيس الولايات المتحدة الاسبق ويلذ لنا ان نفكه قراءنا بقصة جميلة تحدث بها الينا ، صديقنا الدكتور الكبير يوسف حتي ، ان الزعيم ولسن حين عرض مبادءه المشهورة ، (١) اكبرها الزعماء السياسيون ودهشوا لروحه الانسانية النبيلة ، حتى قال له الزعيم الفرنسي ـ كلمنصو ـ مداعبا : « جاءنا المسيح بوصاياه العشر ، وجئتنا باربعة عشر »



(١) من احب ان يرجع الى هذه المبادىء ، فليطلب كتاب « مبادىء الرئيس ولسن انديمقراطية » مصر ـ مطبعة المقطم والمقتطف عام ١٩٢٥

خصومات لبنان وثوراته الطائفية

يعجب الانسان حين يجد البيت الواحد ، في اوربا واميركا ، يشتمل على افراد مختلفي العقائد والنحل ، بله القرية او المدينة او الامة . ولكنه يزداد في العجب ، حين لا يرى واحداً منهم يحاول ان ينتقص من دين اخيه او كرامته شيئاً . والسبب في ذلك ، ان القوم هناك ، يعلمون عمليا ، ان الله للجميع ، وان الحكم بين عقائد العباد وضمائرهم ، له وحده يوم القيامة ، ولان الجميع مثقفون ثقافة اجتماعية عالية . اذ مفهوم بداهة ، ان الله لم يوحِ وحيه ، ولم يبعث انبياءه ، ليحدثوا بين ابناء الامة الانسانية ، الشتات والتفرقة والعداوات .

هذه اميركا ، نجد فيها جميع الفرق اليهودية والمسيحية والاسلامية والوثنية ، ففي « شيكاغو » معبد للبهائيين ، وفي غيرها ، مراكز تبشير وارساليات للباكستانيين ، وهناك طوائف الزرادشت والبراهمة والبوذيين واليارسي (١) ، والمورمون وشهود يهوه والمعمدانيون وقدّيسو الايام الاخيرة(٢) بله السنة والشيعة والكاثوليك والموارنة والبروتستان

---

(١) فرقة برهمية

(٢) فرق مسيحية

والارثوذكس ، . . . ولكن لم نسمع ان فرقة من هاتيك الفرق ، فكرت في ان تخاصم اختها ، او تحمل لها الكراهية والبغضاء ، او تتربص بها الدوائر ، شأن الطائفية اللئيمة القبيحة الشوهاء في هذا البلد الكريم الجميل الفتان . والبلاء الاعظم والنكبة النكباء ، هو ان تنسب اوباؤها ومأتاها ، الى الاديان السماوية ، التي جاءت لجمع كلمة الانسانية ، وخيرها وهداها . وإذا اخذت تنذر هؤلاء الذين ينفثون سموم الطائفية وآثامها بين ابنـاء امتهم ، ويشعلون شرورها احقادا في الصدور الواهنة ، وعداوات في النفوس البسيطة الجاهلة ، تنذرهم بالمسؤلية الخطيرة امام الله والعلم والتاريخ ، وتدعوهم الى النظر لامتهم الممزقة بعين الشفقة والرحمـة ، شأن المثقفين الانسانيين ، سمعت منهم صوت الانانية الماكر اللعين ، يعوي بـذكر ثورات طائفية طويت في ظلمات الرموس ! !

ذلك عواء الجهل بواقع المعرفة التاريخي ، وعلوم النفس والاجتماع ، وبواعث الدوافـع النفسية ، التي احدثت تلك الثورات البغيضة ، لا في الشعب اللبناني بل في كل شعوب العـالم .

وكم في نسبتها الى الاسلام والمسيحية ، او الى فروعهما من جناية وسطحية ، ولو كانوا باحثين او اشـباه باحثين ، لعلموا ان تلك الثورات ، لم تشعلها إلا اصابـع الجهـل الفاضح ، وفقد ان الايمـان الصادق والفهم الصحيح العملي

لمثل الدين العليا .

والواقع ان تلك الثورات لم تحدث لاجـل ان هـؤلاء مسلمون ، واولئك مسيحيون ، إذ يذكر البحاثة الفرنسي « جبرائيل هانوتو : (١) ان في الفترة التي بدأت عام ١٨٤٠ وانتهت عام ١٨٦٠ كان يهـاجر مسيحيون موارنة ، الى إخوة لهم من المسلمين الموحـدين ، ويسكنون بينهم ، مما يؤكد ان نسبة الثورات الى الدين ، مـا هي الا تدجيل ونفاق وكذب وبهتان ، (٢) ولو كانت الثورات إنما تنشب من جراء اختلاف الاديان ، لما نشبت بين ابنـاء الدين الواحد انفسهم ، اي لما وقعت بين الموارنة واليعاقبة (٣) والروم الارثوذكس والموارنة (٤) والامير بشير وابنـاء الامير يوسف (٥) والمعنيين والسيفيين ، والقيسية واليمانية من الموحدين انفسهم (٦) والجعفرية والعـلوية (٧) والجعفرية

---

(١) راجع كتابه « تقاليد فرنسا في لبنان » ص ٢٧

(٢) تنوير الاذهان ٢ ـ ١٢١

(٣) راجع ابن العبري في تاريخه الكنسي ١ ـ ٢٧٩

(٤) راجع الدويهي ٤٠و٧٤و٨٠ والنكبات للريحاني ص١١٧

(٥) راجع كتاب « لبنان في عهد الامير » لفوآدافرام البستاني

(٦) راجع تفاصيل معركة عين دارة عام ١٧١٠

(٧) راجع كتاب « الدروز » الكابتين بورو ، ترجمة عادل تقي الدين ص ٥٦

والموحدين (١) والارثوذكس والكاثوليك (٢) وآل شهاب وآل جنبلاط ، وآل شهاب وآل العظام (٣)

على ان الخلافات التي كانت تقع في القرون الـوسطى لم تقع في لبنان وسوريا فقط ، بل في اوروبا ، وهل في اوربا الا مسيحيون ، ومن الظـلم والجهل ان ننسبها الى المسيحية ، كما انه من الظلم والجهل ان ننسب الثورات التي وقعت بين المسلمين انفسهم الى الاسلام (٤)

هذه ثورات البروتستان والكاثوليك ، التي اشتعلت في ايطاليا وفرنسا والمانيا وسويسرا وانكلـترا . . . وذهب ضحيتها في موقعة واحدة بفرنسا ، موقعة القديس برثلماوس ـ سان بارثلمي ـ نصف مليون نسمة ، كما بالغوا (٥) ومع

---

(١) راجع تاريخ جبل عاملة لمحمد تقي الفقيه ج ٢

(٢) راجع مذابح حلب بينهما عام ١٨٤٠ وانتقال شررها للبنان

(٣) راجع اخبار عام ١١٦٢ ـ ١٧٤٧ في تاريخ الامير حيدر الشهابي ١ ـ ٣٨ وتاريخ فخر الدين المعني لاحمد الخالدي ص ١٤٩ وكلاهما طبعة رستم والبستاني .

(٤) راجع ثورات نجـد واليمن والعراق في كتب . جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبة ، وتاريخ اليمن للواسعي ، وتاريخ العراق السياسي ، لعبد الرزاق الحسيني

(٥) راجع التفاصيل في كتاب « تاريخ الاصلاح البروتستانتي » ج١ وج٢ ، المطبعة الاميركية بيروت ، ومادة « حرب » في دائرة معارف البستاني .

ذلك نجد الفرنسيين اليوم ، يفهمون قيم الاجتماع ، فهما علميا عمليا صحيحا ، ويسيرون متحدين ، ويضربون على يد كل من يحاول ان يمزقهم طوائف ، باسم تلك الاحداث ، التي اثارها الجهل والجشع والمقت ، باسم المسيحية ظلما وكفرا .

اجل ، ها هي الامم التي سفكت دماءها لاجل بروتستان وكاثوليك ، تدرّس ابناءها تاريخ تلك الاحداث لا لتثير الاحقاد في صدورهم ، بل لتفهمهم غلطات الماضي وامراضه فيجتنبوها ونحن حين استعرضنا ذلك في بحثنا هذا ، قصدنا ما قصده اولئك المصلحون ، اظهاراً لهذا الجيل على اغلاط الماضي ، الذي كان من عادته بساطة التفكير وتصديق كل ما يقال له او ينقل اليه ، لاثارة الخير او لاثارة الشر .

ها نحن اولاء نشاهد الاسرائيليين ، متفاهمين متوادين ، مع اختلافهم الديني الذي جعلهم ثلاث فرق ، مع ان الثورات اشتعلت بين فرقتي اسرائيل ويهوذا ، ثمانية قرون متواصلة ، اي من القرن العاشر قبل الميلاد الى القرن الثاني قبله . بل قتل في معركة واحدة بين عشيرتي إفرايم ومنسّى اربعون الفاً ، (١) ولكن هل يدعون اليوم شخصا حيا بينهم يحاول ان يمزقهم ، باسم تلك العداوات التاريخية الحمقاء ؟ .

---

(١) لاجل الاحقاد التي كانت بين الاسرائيليين وشدة الاخذ سواء في ما بينهمّ ، او بينهم وبين غيرهم ، راجع قض ١٢ ـ ٤ وخر ٢٣ـ٢٧ و ٣ـ٣٤ و٣٤ـ٢ وعد ١٦ـ٢٥ وصم١ـ١٥ـ٣

وهذا شأن الثورات التي وقعت بالامس بين البوذيين انفسهم وبينهم وبين البراهمة والسيخ والبارسي (١) ، وإنهم اليوم ، ليستلقون على ظهورهم ضحكا ، حين يذكرون تلك المعارك الهائلة ، التي كانت تقع بينهم ، من جـراء لبس الطوقي الحمراء والصفراء ، . . . وهكذا نجد التاريخ حافلا بصغر العقليات ، وأدوارها وأطوارها .

ونحن لسنا بصدد تاريخ ثورات الامم ولا دراسة بواعثها ، وإنما ذكرنا ما ذكرناه على سبيل المثـال ، اذ كلما يعنينا في هـذا الموضوع ، ان نذكر الشعب اللبناني بأن ثوراته المنسوبة ظلما الى الدين او الطائفية ، هي اهون الثورات وأقلها شأنا وأخفها ضررا ، إذا نظـرنا الى ثورات سواه من الشعوب والامم في الشرق والغرب !

على ان الذي يجعل الدارسين في حيرة وارتبـاك ، هو انهم يجدون اللبنانيين ، في العصور المتغلغلة في اعماق التاريخ إخوة متفاهمين ، ولا يجدون ثورة واحدة وقعت بينهم منذ عرف إنسان لبنان القديم الى القرن الماضي.

اجل ، مما يجعل الدراسين في حيرة وارتباك ، هو ان يمر على الشعب اللبناني الآف القرون ، قوة وضعفا وسموا وانخفاضا ، ولا تقع بين ابنائه ثورة واحدة ، وفي القرن

---

(١) لاجل انتعرف على هؤلاء جميعا راجع كتابنا «دين ابراهيم» طبع دار الانصاف

التاسع عشر والعشرين ، قرني المدينة والحضارة ، والنــور والتسامح تقع بينهم الثورات ! ! .

أليس هذا دليلا واضحا ، على ان الثورات التي نشبت في لبنان ، لم تنشب الا من جــراء بث الروح الالحادية بين أبنائه في القرن الماضي ، وهذهالروح الالحادية هي التي جعلت النفوس الضعيفة الواهنة ، تتفارق وتنكمش وتنطوي على سوء الظن ، الذي لا يرضاه الدين ، ولا الانسانية ولا القومية . والمصلحة التي ينبغي ان يجدها كل لبناني ، ويذخرها لاخيه هي ان يستمسكوا بصدق وإيمان ، وفهم صحيح ، بروح أديانهم ومبادئها الانسانية الكريمة ، متصافحين منيبين الى الله ذاكرين ان مرجعهم اليه وان حساب المفسدين لا بد ان يكون عسيرا .

ونحن الآن ندلي بين يدي ابناء هذا الشعب الكريم ، بواعث ثوراته على وجهها الصحيح ، خشية ان يستغلها الممزقون الآثمون الذين لا يخافون الله فيقصموا ظهره ويورثوا أجيا له الآتية بغضاء قلوبهم ، ومقت انفسهم ، وصغر عقولهم ، وتفاهة وطنيتهم ، ولعنة السماء عليهم ! .

هذه ثورات ١٨٤٠ ــ ١٨٦٠ التي وقعت بــين الموارنة والموحدين ، واعتقــد السطحيون ان المسيحية والاسلام ، هما اللذان اثارتاها ، وهما بريئتان من ذلك كل البراءة ، حتى جعل السطحيون والمغرضون ، العامة المساكين يتحاقدون ،

ظناً منهم ان دين كل فريق ، هو الذي اثاره على الفريق الآخر ، وجعله يكيد له ما يكيد .

والحق ان بواعث الثورات كثيرة ، واظهرها المــرض الطائفي ، الذي يدس لتمزيق الامة باسم الدين ، ولولاه لما رأينا ثورة واحدة في الشرق او الغرب ، وقــد ادرك القائد الفرنسي «هنري ماميسيه» : (١) ان في سوريــة ولبنان ، كثيرين يدسون هذا المرض ، ويتخذونه شباكاً لاقتناص الدنيا ، وهذه الناحية الدقيقة , مشاهدة في كثير من الاحداث ، فاذا وقع مثلا بين راع وراع ؛ نزاع من جراء ماء أو مرعى ، تذرع الاشرار بالطائفية وتنادوا بها واثاروا فتنة شعواء ، تبريراً لجرائمهم ودفعا للعقوبات القانونية واذا قتل شخص في احتماع دنس لعين . من جراء شراب او ميسر او فجور ، اقبلت الطائفية المصطنعة ، تجرر اذيالها ، وتنادى المستغلون : يا للمسلمين يا للمسيحيين ... وهكذا نجد الطائفية مجناً يختبيء وراءها ذوو الاغراض والغايات . ومن العجب ان ترى هؤلاء المشعوذين الخبثاء ، لا يزورون رجال الدين ، ولا يدخلون المعابد ، ولا يذكرون سيدنا المسيح وسيدنا محمــداً ، عليهما الصلاة والسلام ، الا لدى ملاحقة الدولة لهم ، ليخيلوا لرجال الدين ، انهم ظلموا لأنهم مسلمون

---

(١) راجع كتابه ، سورية ملتقى الامم ، ص ٣٦ من الطبعة العربية ترجمة نسيب شهاب ، دمشق ـ مطبعة الترقي ١٩٢٢ ـ ١٣٤٠

او مسيحيون ، وما عوقبوا لانهم مجرمون فالكون !!

وصفوة القول ، ان المسيحية والاسلام ، ليسا هما باعثي ثورات وفتن ، في لبنان او غيره ، كما اوضح ذلك ، كل باحث حر منقب ، في الشرق والغرب ، لا سيما امين الريحاني(١) وابراهيم الاسود(٢) وجبرائيل هانوتو(٣) ويوسف يزبك(٤) وحسبنا السجلات الرسمية ، للمفاوضات الدولية ، التي تناولت حوادث لبنان في تلك الفترة (٥) ويمكننا ان نستشهد رجلين مفكرين واعيين شاهدا عصر تلك الحوادث وفهما بواعثها الحقيقية وادركا انها لا تمت الى المسيحية والاسلام بصلة ، الا وهما العلامة المجاهد عبد القادر الجزائري ، والبطل المغامر ، يوسف بك كرم — اذ يروي سمعان الخازن في كتابه

---

(١) راجع كتابه « النكبات » ص ١٣٧ — ١٤٣

(٢) راجع تنوير الاذهان ٢ — ١٢١

(٣) راجع كتابه تقاليد فرنسا في لبنان الطبعة العربية ص ٢٧

(٤) راجع كتاب « ثورة وفتنة في لبنان » بقلم انطون ظاهر العقيقي الذي كتب مشاهداته من عام ١٨٤١ لعام ١٨٧٣ ، نشرها يوسف يزبك وعلق حواشيه عام ١٩٢٥

(٥) راجع كتاب « مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان من عام ١٨٤٠ لعام ١٩١٠ المجلد الاول الطبعة العربية جونية مطبعة الصبر ١٩١٠ من ص ٣ الى ص ٢٦٣

« يوسف بك كرم » (١) انهما كانا يعملان جهدهما لجمع كلمة الشعب العربي ، وكيف يسعيان للاتفاق لو كانت تلك الثورات المصطنعة باسم المسيحية والاسلام تنتمي حقيقة اليهما ؟

والواقع ان اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم ، لو تركوا وانفسهم لرأينا منهم ما يرفع الرأس تفاهما ومودة واجتماع قلوب واتحادا وغيرة على المصلحة العامة ، وآية ذلك اجتماعهم عام ١٨٤٠ اذ عقدوا مؤتمرين كبيرين في انطلياس ودير القمر ، قرروا فيهما الذود عن وطنهم ، وكان اثر هذا التعاقد الرائع كبيرا من الناحية القومية ، حتى في انفس الامم ، ولولا انهم استيقنوا ان محمد علي باشا يحمل مايحملون من قومية وتاريخ وتجمعه بهم مصالح مشتركة ، لما امكن انقيادهم للامير بشير في دعوتهم الى تأييد مصر ، حتى ان الدولة العثمانية وجدت نفسها حيال قوى انضم بعضها الي بعض ، فتخوفت عاقبة الامر وعلمت ان السياسة الاوروبية راضية عن ذلك ، فلم تجد ذريعة تخيف بها تلك للسياسة ، وتفرق تلك القوى المجتمعة حول مصر ، الا ان تزج بنفسها في احضان روسية . وفعلا عقدت معها المعاهدة « خنكار اسكله سي » (١) وهنا سارعت السياسة الاوروبية

---

(١) طرابلس مطبعة الانشاء عام ١٩٥٠ ص ٣٢٨ ٢٣٦ توفي يوسف بك عام ١٨٨٩ م

(٢) راجع كتاب « ابراهيم باشا في سورية » بيروت ـ مطبعة صادر ص ١٠٠

فقلبت لمصر ظهر المجـن ، وبالحري بعد ان منحت تركية انكلترا ، قواعد بحـرية على ساحل اليمن . وهكذا عاد الاتراك الى لبنان ، وما كادوا يستقرون فيه ، حتى انفذوا الاقتراح النمسوي ، فقسم لبنان الى شطرين ، ومنذ ذلك اليوم فقـط ، القيت بـذور الطائفية اللعينـة في انفس اللبنانيين (١) !! على ان مفكري اللبنانيـين ، تخوفـوا عواقب هذا الانشطار ، وتبينوا من ورائه الاهوال ، ولكن ارغموا عليه ارغاما !! ولم تمر الا اعوام ، حتى وقع ما تخوفه المفكرون ، اذ استحال لبنان الى معسكرين متحاجزين يرصد كل واحد منهما الآخر . وقـد افاد الانتهازيـون والمتاجرون باسم لبنان واللبنانية ، فشرعوا يشعلون نـيران الانقسام والشقاق ، ويلتمسون له الادلة من نصوص الدين !! كأن الله ما ارسل رسله ولا انزل كتبه ، الا لاجل سواد عيونهم !! والشعب المسكين لا يدري شيئاً من سوء نواياهم ، وما يكتسبونه على حساب بؤسه وشقائه ، وفي الوقت نفسه يخيلون لشعبهم اللبناني المسكين انهم هداة خير ، يعملون لرقيه وحضارته ، وان خذل بعضهم بعضا ، بكل انواع الخذلان ، ورصد بعضهم بعضا ، بكل انواع الاحقاد ، ولله ما اصدق امير الشعراء ، اذ يقول :

ايظل بعضهم لبعض خاذلا   ويقال : شعب في الحضارة راق

---

(١) المحررات السياسة ١ــ٢١٨ الى ٢٢٧

وإذا اراد الله اهلاك القرى   جعل الهداة بها دعاة شقاق ! !

ولا ريب ، ان قراءنا الآن ، يدركون تماماً ، ان نسبة هذه الثوارت للاسلام والمسيحية ، من الجهل الفاضح ، وقد فطن القاصد الرسولي الاب « جيانيني » ، الى ان البشر يثيرون ، بما تنطوي عليه نفوسهم من شرور واحقاد ، الفتن والثورات باسم الدين ، ليضحكوا على المغفلين المغرورين ، والهوسى المجانين ، واستدل على ذلك بجماعة المدينين الدمشقيين الذين سمعوا ان ثورة وقعت بين الموحدين والموارنة في لبنان ، فخرجوا الى الشوارع يقولون : هلك المسلمون في لبنان . هلك المسلمون في لبنان ، وتبعهم السذج والرعاع ، وذهبوا الى التجار المسيحيين يغلقون حوانيتهم ، فانتهز اولئك المدينون الذين اثاروا الفتنة ، اشتعالها وجلبتها ، وهجموا على التاجر المقصود بالذات وقتلوه ، ليخلصوا من الديون التي له على اعناقهم (١) ! !

وهكذا الانسان الشرير في كل عصر ، يحمل أوزاره وشروره وآثامه ، ويلقيها عن عاتقه في ساحة دين الله ، ليخفف من اوزارها ويلبس على الناس ، ولو كثر بين المسلمين والمسيحيين ، امثال القاصد الرسولي ورجال نبلاء يبحثون بعمق واخلاص ، غير مخدوعين بالظواهر ، جاهدين

---

(١) راجع كتاب «وحدة الكنيسة» لفريديان جيانيني ص ١٧ وقد جعل قاصداً رسوليا على قطر الشام عام ١٩٠٥

في كشف البواعث ، لما استطاع المفسدون في كل عصر ومصر ، أن يعشعشوا ويفرخوا اوباءهم ، في انفس السذج حتى يصبحوا في ايـديهم آلة للشر ! ! وكم نتمنى ان يقف الكتاب والموجهون موقف القاصد الرسولى ، ليكونوا مصلحين أبراراً يوجهون حقائق التاريخ وجهة إنسانية ، لان البشر جميعاً ، ابناء الامة الانسانية ، قبل ان يكـونوا ابنـاء الاحجار والحدود المصطنعة ، التي اصطلح السياسيون على وضعها ، وحينئذ تصبح اقاصيص الثـورات والخصومات الطائفية ، التي بالغوا بهـا ما بالغوا ، اقاصيص اعتبـار ، وذكرى عظة وتحذير مـن الذين يتظاهرون بالدين وليسوا بمؤمنين صادقين ، لا اقاصيص احقاد وإثارة فتن واستعادة جرائم ، كما قال ابو تمام :

ولا تقـل امم شتي ولا وطن
الارض من طينة والناس من رجل

وقد أشار الدكتور « ميخانا » امين مكتبة « رينالدز » الى ان الاسلام ، ليس هو السبب في ما ارتكب باسمه من حوادث ، كما ان المسيحية ليست هي العامل في ما ارتكبه مجالس التحقيق باسمها (١) كما حقق ذلك العـلامة الفرنسى ماسينيون (٢) وفطن الى هذه الحقيقة ايضا ، البحاثة المؤرخ

---

(١) كتاب مواقف حاسمة ، لعنان ٣١ ــ ٣٢

(٢) كتاب وجهة الاسلام ص ١٨

محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي بدمشق ، فذكر ان الاعمال الرعناء التي هي بواعث الثورات ، والتي كان الحكام القدامى من مسلمين ومسيحيين ، يضايقون بها رعاياهم ، هي لا صلة لها بالدين ، حتى قال عن الجزار ـ وكان الناس في ظلمه سواء ـ و إنما هي اجرآت شاذة رعناء ، تثيرها البغضاء وضيق الصدر ، ويتخذها الاشرار الذين لا يخافون الله ، ولا يكترثون لرحم الانسانية ان يمزق ، واواصر المودة ان تقطع ، وسيلة للوقيعة والكيد

اجل يستغلونها للتجارة والكسب لانفسهم ، وان ذهب ضحيتها سواد الشعب ، لذلك يجب علـى كل افراد الشعب في اي مـكان كان ، إذا سمعوا اية كلمة ، يقصد مـن ورائها إثارة خلاف وفتنة : ان يضربوا على يد قائلها ، وان لم يفعلوا ضربوا هم بها ، ولولا انا راينا والئك الاشرار ، يستغلون تلك الثورات ، ويخفون بواعثها الحقيقية عن سواد الشعب ، لما افضنا في ذكرها ، وفي إفاضتنا جملة منافع .

١ ـ إفهام سواد الشعب الذي يتخذ عادة وسيلة لتنفيذ اغراض الممزقين ، ان تلك الثورات لادخل للدين فيها بتاتا

٢ ـ رايناها مذكورة في بعض مؤلفات ، بين ايدي الجماهير ، خالية من ذكر التوجيهات على ضؤ واقع المعرفة وذلك مما يثير احقـاد ذوي العقول الصغيرة ، والنفوس الجاهلة .

٣ ـ إشفاقا منا على جمع كلمة الشعب اللبناني ، وإفهام

ابنائه انهم إخوة ، وانهم بأخوتهم ومحبتهم يدفعون الوصمة ، التي الصقها الملحدون بالمسيحية والاسلام ، مرددين هذا البيت :

ان الشرائع القت بيننـــا لاحناً وعلمتنا افـــانين العداوات

على اننا نعتقد ان المؤرخين ، الذين افـــاضوا في ذكر ثورات أممهم وسواها ، لم يقصدوا الا العظة والاعتبار للاجيال الآتية ، حذراً من مقارفة الشرور . ولم يدخل في نواياهم ، إثارة احقاد وعداوات ، وهل في الاقاصيص التي يذكرها المعلمون ، او الآباء لابناهم ، وفيها ذكر كثير من القتاك واللصوص والمجان والمجرمين ، شيء من إغراء وتزين للشرور ام للعظة والزجر والتحذير ، كما نجد في بعض الكتب المقدسة ذكر فرعون وهامان وقارون وكثير من الاشرار والمجرمين .

وآخر ما نرجو ان يظل في انفس ابناء الشعب اللبناني ، بيتا الاديب بولس الشرتوني صوتا داويا في اعماق الضمائر ، اذ هما يمثلان هدفنا من البحث كله :

ما دين احمد فيهم بث تفرقة كلا ولا دين عيسي دك مجدهم
لكن هو الجهل اضواهم ففرقهم لما تـــكاثف فاندكت عروشهم

وما اشبههما ببيتي امير الشعراء :

ادار محـــمد وتراث عيسى لقد رضياك بينهما مشاعـــا
فهل نبذ التعصب فيك قوم يمد الجهل بينهم النزاعـــاً ؟ .

الطائفية والدين

المسلم او المسيحي في نظر تقاليد الدهماء والاغمار ، غيره في نظر الدين : لديهما ان المسيحي العميق ، والمسلم الصادق من اذا ذكر لديه اخوته في الدين والوطن ، وكانوا على غير مذهبه ، لعن وجدف وحذر وتوعد ، وانـذر بالشر المستطير ، والبلاء الكبير ، فان كان مارونيا نظر انه هو المسيحي ، وان اولئك لا صلة لهم بالدين ، وهكذا اذا كان اورثوذكسيا نظر الى الموارنة او سواهم ، وانك ترى الذين حواليه كل منهم يقول : ما شاء الله ، ماشاء الله ، هـذا هو الدين ، هذا هو الايمان ، هذا هو المسيحي الحق ، وان كان مسلماً شيعيا وذكر امامه السني او الموحد او العلوي فأنه يهز راسه مستخفا قائلا : اولئك هم اصحاب النار ، وان كان سنياً قال : خامسي مخالف . . . وهنا نرى الذين حواليه من الاغمار يكبرون دينه وايمانه ويقينـه ويقولون تا لله انه لمسلم صادق لا تأخذه في الله لومة لائم

وهؤلاء الاغمار والدهماء ، يرون روح العبادة والقرب الى الله . هذا الصغار في الانفس والالسنة وهذه البذاءة وتلك الاحقاد ، وبمقدار مايحمل الحقود الشاتم المستخف الارعن من حقارات وسخافات ، يكبر في اعينهم ايمانه ويسمو جلاله

حتى اذا شاهدوا في يوم من الايام ، من يحمل روح تعاليم الاسلام او المسيحية , في صفاتها وتسامحها ، رأوه منافقا مجدفا بعيداً عن روح الدين , لالشيء الا لانهم يرونه يحب الله ورسله جميعا ،والناس كافة ، ويخالق الناس بخلق حسن. ولايقول للناس الا حسنا ، ولا يجادل الا بالحسنى ، وهو الف مألوف ودود ، يدفع بالتي هي احسن ، ويكظم غيظه، ويعفو عن الناس ، بـــل ويحسن اليهم وان اساؤا (١) ويلتمس لهم الاعذار ، لاسبع مرات بل سبعين , ويدعوا لهم في صلاته اليومية ، ويبارك ولا يلعن وليس هو بالانسان الذي به تأتي العثرة للناس ولا يعــرف له خصماً ، واذا وجد من يخاصمه ظلماً ، فانه يصالحه قبل الوصول الى الحاكم ولا يسلم على اخوته فقط ، ولا يحب الذين يحبونه فقط ، وهو امين في القليل والكثير (٢)

وكم من فارق نجـــد ، بين مسيحي التقاليد ومسيحي الانجيل ، وبين مسلم التقاليد و مسلم القران ، الفارق عظيم ، كالفارق بين النور و الظلمة ، والحق والباطل ، والخير والشر والمغفرة والعذاب ، والغلظة والتسامح .

ومن هنا يستطيع قراؤنا ان يفرقوا بين اراء الدهماء

---

(١) هذه مأخوذة من النصوص الاسلامية التي يعرفها جميع المسلمين .

(٢)هذه مأخوذة من النصوص المسيحية التي يعرفها جميع المسيحيين

والاغمار ، وبين نصوص المسيحية والاسلام ، الخيرة المتسامحة الحافلة بالصفاء والرفق والرحمة ، ويستطيعون ان يدركوا ان منشأ الطائفية ، انما هو تلك الآراء والعادات لا الدين .

لا طائفية في الدين ، ولا دين في الطائفية ، لان الدين رحمة للعالمين ، وهدى للناس اجمعين ، ولانه شمس الله التي تشرق على الجميع ، ومطر الله الذي يحيي موات الخير في قلوب الجميع ، وهذا باجماع علماء الاسلام والمسيحية ، وشتان ما بين الطائفية والدين ، فان ارادوا من الطائفية ، ان يكون المسيحي مسيحيا صادقا في استمساكه بما جاء في الانجيل من العبر والعظات ، والنصائح والتسامح ، فهو متدين لا طائفي ، لان مثل هذه الاخلاق هي في الاسلام ايضا ، ولا يمكن ان يكون بين مسيحي يتقيد باتباع سيدنا المسيح في اقواله واعماله ، بصدق وايمان ، ومسلم يتقيد باتباع سيدنا محمد باعماله واقواله ، بصدق وايمان ، ويفهمان فهماً صحيحاً ، طائفية متحاجزة متباغضة لعينة ، وكيف يمكن ان تكون الطائفية بينهما ، والانجيل والقرآن يلتقيان بفرضهما العمل لاسعاد الجميع دنيا واخرى ، وان ارادوا بالطائفية ، عادات العامة والمفسدين ، من العداوة والبغضاء والاحقاد ، والاذى والكيد ، فهي طائفية شريرة فقط ، وليست بدين ، لان سيدنا المسيح وسيدنا محمد يبرآن الى الله منها ؟ .

والخلاصة ، ان بين يدينا طائفيتين ، طائفية منبثقة من

صميم تعاليم الانجيل والقرآن ، وهذه طائفية رجـــال الدين النبلاء ، والمفكرين وحملة الاقلام ورجال العلم ، وطائفية منبثقة من التقاليد وسوء النـــوايا ، وهذه هي التي شوهت نفسيات الكثيرين من ابناء الشعب اللبناني ، وجعلته طرائق قدداً ، ومعسكرات متباغضة ، وحبذا الطائفية التي تجعـــل اهل المذهب الواحد او الدين الواحد ، يشتغلون في تحسين حالهم ، وتقـــوية إنسانيتهم ، وصلتهم باخوتهم ، ووفائهم لوطنهم ، اذ في ذلك تحسين للمجتمع .

وإذا كان بعض الشباب المثقفين اليوم ، الذين يكتبون في الصحف ، يستخفون بعقلية اهل عصور الانحطاط ، التي تهلهلت أواخر العصر العثماني ، لانهم لم يستطيعوا ان يحيطوا علماً بالمثل العليا ، التي في الكتب المقدسة فاؤلئك الشبـــان اليوم اجدر بالاستخفاف اذا هم اعرضوا عنهـــا ، وهم يستوعبونها علما .

وفي النهاية نحذر ابناء الشعب اللبناني المجيد . من الذين يستغلون الدهماء والسذج لمآربهم ، ان يستمعوا اليهـــم او يقتربوا منهم ، او يصدقوا لهم قولا ، نحذرهم بهذه النصوص « ان كل من يغضب على اخيه باطلا ، يكون مستوجب الحكم ... » ومن قال : « يا احمق يكون مستوجب نـــار جهنم » (١) « ويل للعالم من العثرات ، فلا بد ان تأتي

---

(١) مت ٥—٢٢

العثرات » (١) « وكما تريدون ان يفعل الناس بكم ، افعلوا انتم ايضا بهم هكذا وان احببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم ؟ » (٢) لاتقضوا على احد فلا يقضى عليكم اغفروا يغفر لكم » (٣)

« ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . إن الله على كل شيء قدير » (٤) « اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ؛ وانتم تتلون الكتاب ، افلا تعقلون ؟ » (٥) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٦) « للذين احسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » (٧) « لاخير في كثير من نجواهم ، الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله . فسوف نؤتيه اجرا عظيماً » (٨)

---

(١) مت ١٨ـ٧ (٢) لو ٦ ـ ٣١ (٣) لو ٦ ـ ٣٨

(٤) البقرة ١٤٨ ، والآية تفرض علينا ان نقصد الخير ، وان اختلفت وجهات الناس ، بين الخير والشر ، لان قصدنا الخير والعمل به هو قضاء على الشر

(٥) البقرة ٤٤ (٦) فصلت ٣٤

(٧) يونس ٢٦ (٨) النساء ١١٤

الله لا يعبد بالشر

لم يـــكن ارسال رسل الله ، مؤسسي الاديان السماوية العالمية الكبرى ، ليثير بين الافراد والجماعات ، الاحقاد والشرور ، يثيرهما ، يثيرهما ؟ : حاشا لله ان يكون ذلك ، انما ارسلوا ليدعوا إلى الخير و يركزوا المـــودات الانسانية العليا ، مهما اختلفت الازمان وتباينت الاوطان .

يا عجباً من اين جاء للحمقى الجاهلين ان الاحقاد التي ينفثها الاشرار المفسدون بين الناس ، لتهلك الحرث والنسل هي مما جاء بها رسل الله ، لتتخذ عبادة لله وقربى اليه

معاذ الله ان يكون هذا ، كيف والله لم يكن موحياً وحياً الى رسول ؛ الا وملوء ذلك الوحي الرحمة لعباده ،وطلب الهداية والسعادة لهم ، وإن خلقهم احرارا مختـارين ، لأن طلب الهداية وارسال الرسل مـــن اجلهم ، لاينافي الحرية والاختيار .

على ان هدف الرسالات السماوية الاول ، هو انقاذ الانسانية ، من عبادة المخلوقات المادية والروحية ، وتوجيهها الى عبادة الله وحده ، واعلان الحب الانساني العام ، الذي يتجلى في اعمال انبياء الله ورسله ، واقوالهم وتقريراتهم ، صلوات الله وسلامه عليهم .

اذن ، فاذا شاهدنا بعض الاتباع يجهلون هذه الحقيقة ، او يفقدونها او يناكرونها ، فليس معنى ذلك ، ان الله لم يوحها الى رسله ، اذ لو لم يوحها اليهم ، لما كانت هدفهم الاول ، ومحال ان يكون في رسالات الرسل المعصومين ، شيء يخالف مراد الله .

فهذا خليل الرحمن سيدنا إبراهيم ، تأخذه المودة والاشفاق ، على وثنيي جزيرة العرب فيهاجر اليهم داعيـا الى الله ، متحملا وعثاءها وجدبها وآلامها ، وغلظة قلوب قبائلهـا وجفاءها ويشيد لهم اول بيت لعبادة الله وحده ، فلـولا الاشفاق والمودة ، ومحبة ابناء الانسانية والرغبة في إسعادهم في العالمـين ، وطلب رضوان الله لما فعل شيئاً من ذلك (١) وقـد قام بكل ذلك ، ليعطي الناس دروساً عملية ، ان عبادة الله تكون بأمثال هذه الافعال الانسانية الخـيرة .

وهذا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، نراه يعمـل جاهدا ليقرب « الكوشيين » (٢) الوثنين ، الى الايمان

---

(١) لابراهيم اعمال جليلة في العراق وفارس ومصر والشام والهند والحجاز ، راجع لاجلها كتابنا ـ دين ابراهيم ـ

(٢)هم من الموجات العربية، التي غـادرت اليمن والاحساء وعمان ، وحلت الشام منذ قرون قبل ابراهيم لا نستطيع تحديدها ، وقد يطلق العهد القديم كلمة كوش ، ويقصد بها جميع البلادالعربية راجع تلك ١٠ ـ ٦

بالله ، فيتزوج منهم من اجـــل تلك الغاية النبيلة ، ولكن قومه بل اقرب الناس اليه ، لم يفطنوا الى سمو اهدافه ، وعبادة الله بالخير ، فيأخذون في نقده والتشهير به ، زاعمين انه احب وثنية ، واتخذها لنفسه ، ـ حاشا لله ان يكون ذلك من رجل خـــير فضلا عن رسول عظيم من اولي العزم ـ وما كادوا يكفون عن اذاه بألسنتهم ، الا بعد ان برأه الله مما قـــالوا ، (١) وقد فعلوا ما فعلوا وهم يحسبون انهم يتقربون بذلك الى الله ، وهكذا نجدهم اساؤا في تفسير تعدد زوجات سيـــدنا سليمان ، الاسرائيليات والوثنيات ، التي اضطرته اليها طروف السياسات القديمة ، وتالف القبائل التي حوله ، والامم المجاورة كالمصرين والفينيقيين ، كما شهروا بأبيه سيدنا داود من قبل .

والذي يجعلنا لا نستغرب سوء طويات التفسير الزائف ، حول تعدد زوجات داود وسليمان ، الموغل في القـــدم ، والمتجاوز عددهن المآت ، هو مـــا نشاهده ونحن في عصر المدنية ، الذي يجاهد لتأييد واقع المعرفة ، بكل الوسائل المبتكرة ، من جماعة يلتوي عليهـــا القصد ، وتضعف عن سعة البحث ، وواقع التفسير الصحيح ، فما تدري من الاهداف البعيدة ، التي تزوج من اجلها خاتم الانبياء ، سيدنا محمد ﷺ سوى انـــه تزوج للزواج نفسه ، جاهلة انـــه ما تزوج

---

(١) سفر العدد ١٢ــ١ وسورة الاحزاب ٦٩

بعد ذهاب عصر الشباب ، ودخوله في الكهـولة ، اي بعد النبـوة والرسالة ، وترادف نزول الوحي ، واتصاله بالقبائل المختلفة ، الا لاجل صلاته الدينية ، وابلاغ الوحي لزوجاته ، ليبلغنه لمن وراءهن من نساء ، كما حدث ذلك بالفعل .

على ان الكتابة في هـذه المسئلة بالذات ، افاض فيها الصحافي الفرنسي « جان بروا » في كتاب « محمـد نابليون السماء » ، والدكتور محمـد حسين هيكل في كتابه « حياة محمد » والسيد محمد رشيد رضا ، الذي خصص لهذا الموضوع سفراً .

وهكذا نجـد اولئك الذين لم تسمح لهم ظروفهم ، بالاستقراء والتتبع ، واستيعاب جميع المصادر الموثوقة عمليا ، هم الذين نالوا من انبياء الله ورسله مـا نالوا في الشرق والغرب ، وهم يحسبون انهم يتقربون بذلك الى الله ، اذ عبادة الله بالشر تخيل للانسان انه يفعل الخير ، وهو يضر الحق والواقع ويغضب الله والدين .

وهذا سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام يخف مستجيباً طلب الوثنية الكنعانية لرقية ابنتها المجنونة ، (١) يستجيب مخفاً ، والعهد في رجال الدين الاسرائيليين انهم يعبدون الله في مقاطعة الوثنيين ، وعدم النصح لهم ، والاتصال بهم بحال

---

(١) مر ٧ــ٢٦

فلا يوآكلونهم ولا يصافحونهم ولا يريدون لهم الخير ... فلما رأوا سيدنا المسيح يفعل على الرغم منهم ، غير ما توارثوه من تقاليد ، لا تمت الى روح الدين بصلة ، مع اعلاله ان بين السامرة ، قوما صالحين يستحقون الاكبار والاجلال ، وبين نسائهم صالحات ، يطيل اليهن الحديث ، ويدعوهن الى الايمان والخير (١) ، بالغوا في السخط عليه ، وخالوا حين بالغوا في النيل منه ، انهم يعبدون الله ، ويتقربون اليه بذلك الشر .

وهذا سيدنا محمد ﷺ ، اوجعه ان يرى قومه غرقى في غياهب الوثنية ، يعبدون اشياء الوجود مـــن اوثان وانصاب وملائكة وجن ونار وارواح ، معرضين عن عبادة الصانع الاعظم ، موجد الوجود سبحانه . بل رأيناهم جاهلين انفسهم من الوجود ، وجاهلين الوجود منهم !

اجل اوجعه ذلك ، وحز في نفسه ، فلجأ الى غـــار « حراء » معتكفا ضارعا ، طالبا لهم النجاة مما هم فيه ، حتى جاءه روح القدس بالوحي ، فهبط اليهم فرحا ، وهو يحمل لهم بشرى الوحي الالهي ، والايمان والحق واجتماع الكلمة ولكن قومه الذين يعبـــدون الله بالشر ، ويرون الله شيئا من مصنوعات الوجود ، قاوموه اعنف المقاومة وهو الهادي وناضلوه وهو المرشد ، واتهموه في عقله وهداه ، وهو الذي

---

(١) يو ٣ـ٩

يريد تحرير عقولهم وهدايتهم ، ولم يكتفوا بكل ذلك ، بل تآمروا على حصاره وتعاقـدوا ، متخيلين انهم بذلك يتقربون الى الله ، وترضى عنهم آلهتهم واوثانهم .

وهنا يعجب قراؤنا ، كيف يضحي بعض الناس انفسهم وارواحهم ، في سبيل عبادة الله بالشر ، ولا يعبدونه بالخير وهو في مقدورهم .

* * *

والآن نجد من الجناية والاجرام ، ان يتخـذ بعض الهوسى الجاهلين ، طرق عبادتهم لله ، هي القاء الفتن والاحقاد بين ابناء الوطن الواحد ، الذين يجمعهم الانتساب الى الاديان السماوية ، ومحبة انبياء الله ورسله جميعا ، بله المصالح والمنافع والجوار وتحدر الآباء والاجداد على تطاول الازمان ، من ارومة واحدة ، منذ اليوم الذي نزح فيه من جزيرة العرب الفوج الكنعاني الاول للبنان ، الى يومنا هذا الذي ام لبنان فيه الفلسطينيون .

اجل مـن الاجرام ، ان يتخذ بعض الهوسى ، تلك العبادات الوثنية الهدامة ذات الشرور ، بين اهل الاديان السماوية ، فيتسربون في اوساط العامة والدهماء ، وينفثون فيهم سمومهم وبلاياهم ، والعامة المساكين ، يتلقفون ذلك منهم بسذاجة نيـاتهم ، وبساطة قلوبهم ، معتقدين بتشدد ومبالغـة ، في كراهية مواطنيهم ومقتهم ، يفعلون ذلك وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، وينالون الزلفى من الله ! ! ولولا ان

زينت لهم عبادة الله بالشر ، بفعل اولئك الآثمين ، لما راينا مسيحيا واحدا يسيء معاملة اخيه المسلم ، وينال منه ويطوي له الحقد ، ولا مسلما واحدا يسيء معاملة اخيه المسيحي ، وينال منه ويطوي له الحقد ، معتقدين ان هذه هي العبادة الصحيحة الوحيدة ، التي تفضي بهما الى مراتب الاولياء والقديسين ؛ وانهما هي التي الى بهما المسيح وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام .

على اننا لو رجعنا الى صفحات التاريخ ، وقلبنا سير تراجم اعلام المسيحية والاسلام ، في العصور القديمة والحديثة ، لا لفينا ميزة الحب والاخلاص والتسامح جلية ، في اعمالهم واقوالهم ، لا مقتصرة على اهل الاديان السماوية ، بل متناولة حتى الوثنيين .

فهذا علم آل البيت النبوي المطهر ، ونقيبهم الشريف الرضي ، (١) يقيم الدنيا رثاء وبكاء ، على ابي اسحق الصابئي ، الذي كان يعبد الكواكب ، وماذا نريد ان يقول فيه اكثر من :

اعلمت من حملوا على الاعواد ارايت كيف خبا ضياء النادي
ما كنت اعلم قبل دفنك في الثرى ان الثرى يعلو على الاطواد

ولا يبالي بعتاب الذين يحسبون ان الله يعبد بالشر ، لانه يعلم من نفسه مالا يعلمون ، وهو اعرف بصلته بالله منهم

(١) متوفى عام ٤٠٦ هـ راجع ديوانه

والواقع ان الشريف الرضي حين اثنى على ابي اسحق لم يثن عليه لاعتقاده ان في كواكبه المعبودة ارواحا حالة ، وهي خالقة ورازقة ، وانما اثني عليه لعلمه وفضله وانسانيته وليفهم الناس جميعا ، ان الاسلام دين انساني سام ، يعطي كل ذي حق حقه ، ممجداً جمع كلمة الانسانية ، حاملا على الفرقة والشتات ، تاركا الحكم في عقائد الناس الى الله الذي يقول : « ان الينا ايابهم ، ثم ان علينا حسابهم »

وكم من رثاء يحمل قراؤنا ، لذوي الاحلام المريضة ، حين يبصرونهم يجودون بالضغائن ، على اوطانهم واحبابهم واقرب الناس اليهم ، لاوهام وسخافات مدسوسة على اديانهم ، ما انزل الله بها من سلطان .

هذه الامراض المدسوسة ، يشعر بها ذوو المعارف الواسعة الذين تعمقوا دراسة الاديان السماوية وفروعها وسواها ، وتعمقوا دراسة مثلها العليا ، واهدافها السامية ، وبالاخلق اذا كانوا في بيئات اجتماعية انسانية مثقفة ثم انتقلوا لسواها من البيئات ، التي فيها الادواء والاعوجاج

وقد شاهدنا اكثر الناقدين والواعين لما ذكرنا ، هم الذين عاشوا خارج بلادنا ، ثم آبوا اليها ، (١) وفعلا قد كنا

---

(١) نجد كثيراً من المفكرين اللبنانيين الذين يعيشون في بيئات اخرى ، اذا ثابوا الى بلادهم ، المريضة بالاحقاد، يأخذون

في سهرة وداع لمغترب نابه ، اوجعه ما شاهد من معسكرات التباغض ، بين ابناء شعبه ، وكان يتحدث والحسرات تبدو في كلماته ، واخيراً وقف فجأة مغيظاً محنقاً ، واخذ ينفض رداءه قائلا : « ها أناذا ، انفض ما علق به مما رأيته بينكم » واحتدت المناقشة نزلة اخرى ، حتى اختتمها بالكلمة التالية : التي اوحت لنا هذا الفصل « رأيت كأن المسلمين والمسيحيين في بلادي ، طبقوا عمليا كل الاوامر التي تدعو الى عبادة الله بالخير ، من تسامح واخوية وحسن معاملة ، وتخيلوا ان هناك اوامر تدعو الى عبادة الله بالشر ، اي بالاذى والسباب واستباحة الحرمات ، وقد فعلوا كل اوامر الخير : ولم يبق في زعمهم الا اوامر الشر ، فاضطروا الى تطبيقهـا خشية مخالفة اوامر الله ، فيا ليت شعري ، كيف يكون الحـال لو لم تكن كل الاوامر ، هي اوامر خير لدى الفريقين ، واوامر محبة وتسامح ونور وهدى ؟ فوالله لو لم تكن اوامر الانجيل والقرآن كلها خيرا ، اذاً لكانت تحايا ابناء شعبي في الاسواق ، والموظفين في الدوائر والجند في الثكنات ...

في علاجها ، فاذا اعياهم الامر ، ثابوا الى مهاجرهم وتركوها ، وهكذا اشار امير الشعراء الى غاندي ، حين رجع مـن انكلترا يداوي مرض الحقد الوضيع في الانفس الحقيرة بقوله :

وجاء الانفس المـرضى يداويهـا من الحقـد

الطعن في الخناجر والضرب بالمسدسات . . . وهنا انهمرت العبرات من عينيه ، ورفع يديه متضرعا الى الله ، وهـو يتلو « ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير »

نحن نعلن تأكيدنا لقرائنا ، ان الله لا يرضى في اي دين من الاديان ، ان يعبد با الشر منـذ دين سيدنا ادريس إلى خاتم الانبياء سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، اي لا يرضى ان يعبد بالكذب واستطالة اللسان والحقد والنوايا السيئة والسهر لاثارة الفتن بين الناس والخصومات وتمزيق ألكلمة والدعوة الى الشر . . . تلك هي عبادة الشيطان ا٠١ا الله فانه يعبد بالصدق ومحبة الجميع ،وكف الاذى والنوايا الحسنة والسعي لجمـع كلمة الانسانية ، وإخمـاد فتنهـا وخصوماتها والتماس الاعذار والعفو والصفح والدعوة الى الايمان .

اجل ، قد كان المؤمنون قديماً يقولون « الفتنه نائمـة لعن الله من ايقظها » ومقصودهم ان الفتن تظل بعيدة ، وهي لاتأتي الا على يد الاشرار الذين يستحقون اللعنة ، والاشرار موجودون في كل زمان ومكان ، ولكن ويـل لاولئك الاشخاص الذين تأتي الفتن والعثرات على ايديهم في العالم كما قال سيدنا المسيح .

وكنا نود ان نبسط ما تجمع لدينا من حقائب المتهزين الذين يعبدون الله باختلاق الاباطيل ، وإثارة الشرور والفتن ،

ولكن كفانا ذلك « ريول » (١) ومحمد كرد علي (٢) وشيخ العروبة احمد زكي باشا (٣) « وهنري غيز » قنصل فرنسا في بيروت في القرن الماضي ، واغرب ما قرأناه في كتابه (٤) ما سمعه ونفاه من « ان الموارنه يفضلون القديس مارون على المسيح !! »

والذي يهمنا بصورة عامة ، ان يفهم ابنـاء الشعوب الانسانية ، انهم إن ابعوا من في الارض ، فانهم يضلونهم ، وان المسئلة كما قال افلاطون « امراض تنتقل من الآباء الملوثين للابناء ،فلا بد من الفرار بهم والا اصابتهم العدوى » إذ الآباء قدوة ، ولا بد للاصلاح من قـدوة صالحة ، كما قال خليل بك مطران :

وإذا التعليم لم يقرن به قدوة صالحة جر العطب

والتعليم كما يكون في المدرسة يكون في البيت ويكون في المجتمع ، ويهمنا بصورة خاصة ان يفهم ابناء الشعب

---

(١) راجع كتابه « المسئلة الشرقية » من عام ١٩١٨ لعام ١٩٣٧

(٢) راجع كتابه « الاسلام والحضارة العربية » مصر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٠

(٣) راجع ما نشره في العام الاربعين من مجلة الهلال ص٩٥٨

(٤) راجع الترجمة للعربية لمارون بك عبود طبع دار المكشوف بيروت ١٩٤٩

اللبناني ، بل كل الشعوب ، ان مفتريات عبـاد الله بالشر ، التي تذخر بها المؤلفات السافلة ، والاوساط المنحطة ، والنفوس الصغيرة ، هي لا تزال توغر الصدور ، وتشعل الاحقاد ، وتالب الجماعات ، وتمزق كلمة الامة ، وقل من هذا القبيل ما يذاع همسا ، ان في غرفة الجامع الكبير في بيروت ، المغلقة التي فيها الآثار النبوية ، كميات كبرى من الاسلحة الدفينة ! وان خلوة البياضة ، فيهـا الديناميت والاسلحة الثقيلة . . . وكل ذلك مذخور لمسيحيي لبنان ! كما يـذاع همسا ان الاديرة مـذخورة بالبنـادق والرشاشات ، وان البواخر غادية رائحة في عرض البحار ، تأتي بالذخائر والعتاد — ولعلها بالقنابل الذرية والهيدروجنية والاوباء الفتاكة — هـذه للمسلمين وتلك للمسيحيين ! ! كأن انكلترا وفرنسا واميركا وكل دول الارض ، ليس لها مطلب في الحياة ، تمجد به وتخلد وتبقى ، الا ان تتالف طائفة من ابناء لبنان ، وتتخذها عدة للشدائد والاهوال ، فهي ابدا في تزاحم وصراع ، هذه تسلح هذه الطائفة ، وتلك تسلح تلك ، وهكذا ! ! !

يا سبحان الله ، كأن طوائف لبنان ، بيدها حياة الدول وموتها ، وسعادتها وشقاؤها ، وانتصارها وخذلانها ، فحسب كل دولة — بـدل اختراع المعدات المدمرة — الطائفة التي اتخذتها عدة في لبنان ! ! اذ هي درعهـا الواقي وحصنها الحصين ، اذا جد الجد ونفخ في الصور ، ووقعت الواقعة .

ويسرنا جدا ، ان شباب لبنان المؤمن المثقف ؛ فطنوا

الى كل هـذه الخرافات والاباطيــل ، وشرعوا يشيدون اخوتهم ، على التعاون الوثيق والثقة الخاصة ، والاستمساك بالدين ، على قواعد الفهم الصحيح ، والايمان الصادق ، وها هي الطلائــع والكتائب والنجادة والغساسنة وعبــاد الرحمن والكشاف . . . قد وضعوا نصب اعينهم ، الجهاد في سبيل احياء روح المودة والتفاهم والاخلاص والتعاون والثقة في ما بينهم ، ضاربين على ايدي المفسدين الممزقين ، مشيدين اواصر الصلات ، ووشائج المودة ، بالتزاور ومبادلة الآراء والاشتراك في كل المساعي التي يرفعون بها شان لبنان .

ومن العجب اننــا كنا نسمع في الاوساط ، ان زحلة موطن الاحقاد ، ومقر العقول الصغيرة الممزقة ، فلما ذهبنا اليها ، فاذا هي عروس الشرق ، وقلب لبنان الخافق ، اذ زائرها يجــد نفسه محترما بـين الجميــع ، والجميع يحترم بعضهم بعضا ، بغير تفرقــة او نعرة طائفية ، يحترمون كل زائر ، حتى ذكرنا ونحن نتجول بين مناظرها الفتانــة وحدائقها الغناء ودورها العامرة وقصورها الشماء ، كيف استيقظ امير الشعراء وهو مصطاف بها ، في الهزيع الاخير من الليل ، على صوت النواقيس ، وصراخ الناس ، وهم ينغون ــ سعدا ــ في ذلك الليل الاليل ، مما جعله يحس انه لو كان في مصر لما وجد من اهلها ، اكثر مما وجده في لبنان ، ومما جعله لا ينسى هذه الصورة المؤثرة ، التى شاهدها بام عينه في زحلة ، لا ينسى ان ينوه بها في قصيدته الفذة

التي رثى بها سعداً :

سائلو زحـــلة عن اعراسها

هل مشى الناعي عليها فمحاها

عطـّـل المصطافُ من سُماره

وجلا عن ضيفة الوادي دُماها

فتح الابوابَ ليلا ديرها

والى الناقوس قامت بيعتاها

وصفوة القول نحن لا يخيفنا هذا التوتر الجاهل الاحمق في بعض الاوساط اللبنانية لان هناك رجالا ابرارا مصلحين ، يعملون لجمع كلمة الشعب اللبناني ، وتوحيد صفوفه ، ولعله في لبنان اهون منه في اوربا ومأتاه شيء واحد : الالحاد التجديف عدم الخوف من الله ، اصلح الله الجميع .



مكانة الايمان والمؤمنين في المجتمع

للايمان مكانته السامية في كل الاديان السماوية وسواها ، بل وفي كل الفلسفات العليا والقوانين ، وفي صميم الحياة ايضا . فلولا ايمان العلماء بنجاحهم في ما يأخذون او يدعون ، لما وصلت الحضارة الى ما وصلت اليه اليوم .

ومن اجل اكبار الايمان بمعناه العام ، قال الله « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله » (١) اي كل عمل لا يصحبه ايمان ، فلا بد انه يحبط ، والى تأثير قوة الايمان في انهاء الاعمال ، ولو كانت عسيرة ، او تبدو مستحيلة يقول سيدنا المسيح « لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل مـن هنا الى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » (٢) هذا حق فلولا ايمان « كرستوف كولمب » بوجود ارض وراء البحار ، لما خاطر بنفسه وبأنفس من معه من رجال ، في مجاهل المحيط

ولما كان الايمان غريزة تتجلى في اعمال الانسان ، كان محبوبا في كل بواعثه ومظاهره ، فالناس بحكم اعمالهم ، يبغضون غير المؤمن ، وينفرون منه كما يبغضون الجبان ، الذي يفقد حماسة الدفاع عن المجتمع . ولا يغتر القراء

(١) المائدة ٦ (٢) مت ١٧ ـ ٢٠

بالسطحيين ، الذين ينوهون بالشك ، ويعتبرونه اداة للوصول الى المعرفة فعلا ، اذ شكهم هذا إيمان في الواقع بما يسعون اليه من معرفة ، وان كان يصحبه ترك نظرية سابقة ، فهذا الترك هو الذى خالوه شكا . ولو شك العلماء في النظريات التي بحثوها ، وتيقنوا حقيقتها ، لما بذلوا حياتهم في سبيلها امثال العالم الايطالي « غاليليو » لدى اثباته دوران الارض .

اذن فالذين يحسبون الشك في كل شيء ، هـو الذي يكشف الحقائق ، هم سطحيون يجهلون الواقع ، ولا يغتر هؤلاء الذين اخطأوا فهم فلسفة الغزالي وديكارت وخالوهما يهدمان الايمان بالشك ، وهما في الواقـع يقصدان به تحرير الايمان لنفي الشك ، لان شكهم في ما يبحثون ، انما جعلاه للوصول الى واقـع المعرفة ، التي هي الايمان بحقيقة الشيء الـكائن ، ولا يخال اولئك السطحيون الذين قراوا ما كتبه الغزالي وديـكارت قـراءة خفيفة ، ولم يتعمقوا مقاصدهما الاساسية أن فهمهم له وزنه من الناحية العلمية التي تجعل الوصول الى الحقيقة ، هو الايمان بها ، اذ مثلهم كمثل « جحا » الذي سمع ان الغزالي انتهى الى ايمانه من طريق الشك ، ولم يعلم ان الغزالي ، حرر واقع ايمانه في نظرياته بدفـع ما حولها من شكوك مذاعة بين الناس ، فشكه للايمان لاللشك ، فذهب جحا الى الحمام ، وخلع

ثيابه واغتسل . وهنا شك في نفسه ، هل هو جحا ام لا ، ليصل الى حقيقة الايمان بنفسه ، وكانت النتيجة ، ان اصبح سخرية المغتسلين ، وطرد من الحمام ، وحين اقبلت اليه زوجه تكلمه انكرها وانكر انه هو جحا ، وهكذا فعل مع اولاده وجيرانه ، حتى افضى به الامر الى « المارستان » وهذا حال هؤلاء السطحيين الذين سمعوا بشك الغزالي وديكارت ، فارادوا ان يكونوا مثلهما ، ولكن ليس لهم من الوسائل العلمية ما يجعلهم اهلا لان يثبتوا نظريات منفية فشكوا في النظريات المثبتة ، حتى يكونوا من جملة الفلاسفة.

وهذه الفلسفة الجحوية ، هي التي يشكون في انفسهم انهم موطن السخرية والعبث ، من الفلاسفة الاوربيين في هذا العصر ، حيث خالوا انفسهم فوقهم .

ولعل اصغر الناس نفسا واحطهم عقلية واخبثهم طوية ، هو الذي يتظاهر بعدم الاكتراث بالايمان بدينه ، حين يجتمع الى آخرين لا يدينون به ، او لا يكترث فعلا ، غير عالم انه موطن الصغار من نفوسهم .

نعم راينا هؤلاء المنحطين لا ينالون الكرامة ممن يتظاهرون لهم بعدم اهتمامهم بدينهم ، لانهم يعلمون انهم مراؤن مجدّفون منافقون ، لو كان فيهم خير لما استهانوا باقداس الايمان بالله في انفسهم .

ولعل بعضهم يظن اذا كان مسيحيا ورئيسه مسلم ولتظاهر باستهانته بمعالم الايمان والصلاة والصوم ، انه بذلك

يكتسب ثقة رئيسه ويرضيه بهذا العمل القبيح ، وان كان مسلما ورئيسه مسيحي تظاهر بعدم الاهتمام بمظاهر اركان الاسلام ظانا انه بذلك يكتسب ثقة رئيسه وينال خيره لاريب ان من يعتقد ذلك لا بد انه يصغر في عين رئيسه بالذات لان الله اجل من ان يرفع شأن امرىء او يكسبه مودة رؤسائه ، والناس جميعاً ، وهو يستصغر معالم دينه بالكذب والنفاق والتدليس والغش والخداع .

على ان هؤلاء ، هم الذين ينفون من مودة رؤسائهم ويفقدون ركونهم اليهم ، ولعل بعض الموظفين ، من مسلمين ومسيحين ، يحاولون ارضاء رؤسائهم بأي ثمن كان ، ولو اسخطوا الله وضمائرهم ، وكم في هذا الامر من غفلة ، لان الرئيس الذي يؤمن بدينه ، محال ان يرضى بمرؤسه المجدف الملحد ، اذ لا يثق به ولا يأتمنه على شيء ، واما الذي لا يؤمن بدينه ، فهو الذي يتهم موظفيه الصغار ، بالمغالاة والعصبية ، اذا رآهم مستمسكين بأيمانهم ، قائمين بواجبات دينهم ، على ان الرؤساء الماديين انفسهم ، الذين يملكون نظرا واسعا ، لا يرضون بحال عن مسلم او مسيحي من رجال معيتهم غير صادق في ايمانه ، وقد اشار إلى ضرورة احترام الرؤساء ، لاهل الدين من اتباعهم ، السياسي الايطالي « مكيا فيللي » (١) اذ في ذلك توطيد للامر ، وإرعاء

---

(١) راجع كتاب « حرية الفكر » لسلامة موسى ــ مصر مطبعة الهلال ١٩٢٧ ص ٢٦

للثقة المتبادلة ، على الرغم من انحلاله هو ، بل ذكر القائد الفرنسي « هنري ماميسيه » (١) ان فرنسا كانت تعطي في سوريا ولبنان ، اهل الدين الصادقين من كل الطوائف اموالا ، للإستمساك بفضيلة الدين .

وكثير هم الذين يذكرون الاخ المهاجر الاميركي ، الذي القى كلمة في جامع بيروت الكبير (٢) واكد بعد خبرته الطويلة وتجاربه . ومخالطته لكبار الساسة ورجال الاعمال في اوروبا واميركا ، ان القوم هناك ، لايثقون الا بالمتدين الصادق المتمسك بعالم دينه ، وهم يحذرون المتلون الكذوب ذا الوجهين واللسانين ، وقد اكد لهم ذلك بقصة وقعت له هو نفسه ، حيث ابتدأ مساعيه في اميركا كعامل في احد المصانع الكبرى ، وكان يؤدي فروض صلواته الخمس في اوقاتها ، غير متساهل في شأنها مطلقاً ، وكان رفاقه من العمال يحترمونه . وصدفة وقع مرة بينه وبين احد العمال سوء تفاهم ، الا ان الرفاق اصلحوا ما بينهما ، ولكن الرجل ظل يطوي له البغضاء ، ويكيد له في الخفاء ليطرد من العمل . فلم يجد وسيلة يلجأ اليها الا صلاة العصر الكائنة في وقت العمل ، زاعماً ان فيها ضياعاً لحقوق صاحب المعمل فرفع اليه الامر . فلما احضره وسأله عن سبب تركه العمل

---

(١) راجع كتابه « سورية ملتقى الامم » ص ٦٣

(٢) كان ذلك عام ١٣٧٠ - ١٩٥٠

احيانا في وقته ، حدثه انه يصلي ، وان صلاته لا تستغرق الا بضع دقائق ، وانه في هذه الصلاة يدعو للناس جميعا ، ويطلب لهم السعادة والخير ، فوقف صاحب المعمل ورفع قبعته عن راسه احتراما وقال له : « لا تترك صلاتك واني منحتك عشر دقائق ، وربت على ظهره ثم ضاعف له راتبه .

وما بالنا نذهب الى اميركا ، ونحن في لبنان ، وكل الناس يعرفون معمل « قصارجيان » وكلنا نعرف المهندس الميكانيكي ، امين عباد الرحمن الاستاذ محمد عمر الدعوق ، الذي يعمل في المعمل ، ولكن قليل هم الذين يعلمون ان قصارجيان صاحب المعمل ، هو الذي يؤكد للاستاذ الداعوق بان يذهب الى اداء الفروض جميعها ، لا سيما في يوم الجمعة مفوضا له ان يتاخر حسب ظروفه ، لما بلغه انه يدعو الناس الى الله ، ويوجههم الى عبادته والاخلاص له ، ويؤلف ذات بينهم ، غير مفرق بين مواطنيه .

ومن منا يجهل مكانة العلامة الكبير الاستاذ عبد العزيز جاويش المصري ، الذي انتدب لتدريس اللغة العربية في جامعة « كمبج » وكيف كان يؤذن للصلواة الخمس ، الاذان الشرعي ، وكان عميد الجامعة ، وكبار الاساتذة ، يحترمونه ويكبرونه ، لما تجلى لهم من عظيم ايمانه ، وصدق مودته واخلاصه ، وحبه الخير للناس جميعا .

ومن من الادباء لا يذكر « مجلة العروة الوثقى » الاسلامية ، التي اصدرها الاستاذان الحكيمان الشيخ جمال الدين

الافغاني والشيخ محمد عبده في باريس ، وكيف لقيا من رجال الحكومة الفرنسية ، وفلاسفتها ومفكريها اكبر حفاوة وتشجيع ، وتيسير لمهمتهما في الدعوة الى الله تعالى .

* * *

والآن نتغلغل بقراءتنا في اعماق التاريخ ، ليلمسوا بانفسهم ان الايمان الصادق ، لا ياتي الا بخير ، وهو يكسب صاحبه ابدا ، المودة والاحترام والثقة ، ويرفعه في اعين معارفه ورؤسائه ، بله الرعاية الالهية التي لا تعدلها رعاية .

فهذا الخليفة المتوكل العباسي ، راود الطبيب الكبير « حنين بن اسحق » ان يصنع له دواء مسموما ، ليغتال به كبيرا من اعدائه السياسيين ، فابى ذلك الطبيب المؤمن الصادق ، ان يجري على يده اعدام الانسان ، واعتذر قائلا : « اقسمنا ان لا نقدم للناس الا ما ينفعهم »

على ان في التاريخ عبرة ، فالذي يخون الله والدين ، ويرضى من اجل كسب المال ان يضر ، لن يفلت من اخذ الله له ابدا ، فهذا الطبيب « ابن اثال » حين طلب اليه معاوية ما طلبه المتوكل من حنين ، اجاب طلبه ، طمعا في خراج حمص الذي جعل له مقابل جريمته ، ولكن لم تمر سوى ايام . حتى هجم عليه بنو مخزوم الذين سمم على يده زعيمهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فمزقوه شر ممزق ! وهكذا صدق قول لقمان الحكيم « من يبيع الآخرة بالدنيا

يخسرهما معا » (١)

وهكذا ارتفعت مكانة حنين بن اسحاق في نظر المتوكل والناس . وائتمنه كل انسان على نفسه وروحه ، بيد ان ابن اثال ، خسر نفسه عند الله وما كسب من مال في ساعة واحدة .

وهذا الخليفة المعتضد العباسي ، يحاول ان يختبر مدا ايمان ابن ابي قرة الصابئي ، وهل يبيع دينه بدنياه ، فيعرض عليه ان يطعم معه مرة فولا ، ويأخذ الفي دينار ، لما هو معروف ، من تحريم اكل الفول لدى الصابئة ، فابى قائلا : « لا والله يا امير المؤمنين ، لا اطعمه ابدا ولو وزنت لي ملء هذه الحجرة ذهبا » فكان بموقفه هذا ، محلا لرعاية الخليفة وائتمانه .

وهذا المنصور بن ابي عامر ، الملك العصامي الاندلسي ، ذو الايمان الصادق والانسانية الكاملة ، ما يكاد يهبط مدينة « سانت ياغو » البرتغالية ، ويزور الحواري العظيم « يعقوب » (٢) تلميذ سيدنا المسيح ، داعياً متبركا ، حتى يلفي بجوار ضريحه راهبا منقطعا لخدمته ، والعناية بضريحه ، فيسره هذا الامر ، ويعجبه من الراهب معالم الايمان المتجلية في

---

(١) مجاني الادب ١ ـ ١٢

(٢) لم نجد اثباتات قطعية تعين ان يعقوب المذكور ، هو احد تلامذة المسيح الاثنى عشر ـ راجع الحلل السندسية للامير شكيب ارسلان .

وجهه ، ويغدق عليه العطايا ، ويبالغ في اكرامه ، وهكذا يكتسب ذو الدين ثقة الناس جميعا .

وهذا الخليفة العباسي المعتصم ، يبكي ويطيل البكاء على طبيبه المسيحي « سلمويه » لما يعرف من صدقه في دينه واخلاصه في عمله ، ويابى الا ان يستشيره ، وهو في ساعاته الاخيرة ، بمن يسند اليه عمله فيشير عليه بتلميذه حنين بن ما سويه ، ولما قضى نحبه امر المعتصم ان لا يدفن ، حتى يصلى عليه في قصره صلاة الجنازة ، حسب قواعد المسيحية ، ثم قبل المعتصم التعازي ، وامتنع عن الطعام ايامه ، والذي يدلنا على كبير ثقته به قوله « سالحق به لانه كان يدبر جسمي » (١) .

وهذا الرحالة ابن جبير ، يذكر في رحلته ان غليوم الثاني ملك صقليه ، كان معجبا بايمان العلماء المسلمين وكبير اخلاصهم فاتخذهم مرافقين له ، يمهدون له طرق المعرفة ، ويدرسونه اللغة العربية وآدابها ، وكان يأتمنهم حتى على

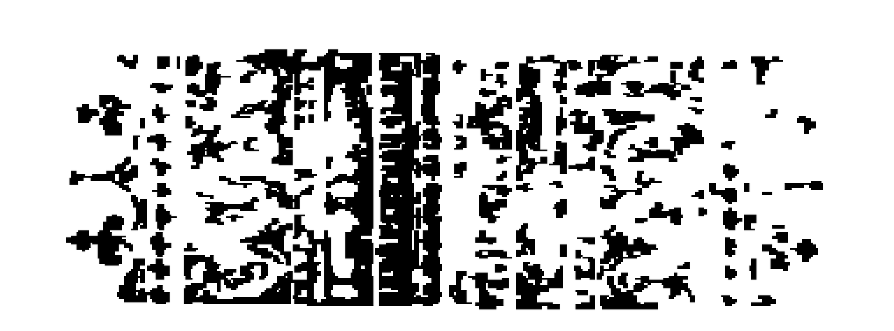
---

(١) راجع مجاني الادب ١ـ١١٥ و « الاسلام روح المدينة» للمرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني . نرى في العصر العباسي اربعة اطباء يعرفون بابن ماسويه ، اشهرهم حنين هذا ،وقدلازمالمامون والمعتصم والواثق والمتوكل وتوفي عام ٢٤٣ هـ راجع كتاب « الكنى والالقاب » للشيخ عباس القمي ١ ـ ٣٨٦ ، طبع مطبعة العرفان عام ١٣٥٧هـ.

طعامه الخاص واسراره ، وقــد نقش على خاتمه « الحمد لله وحده » .

والخلاصة ، ان اللبنانيين الذين يستمسكون بمعالم الايمان والصدق ، مع المواظبة على إعلان شعائرهم ، هم يربحون كثيرا ، يربحون ثقة بعضهم بعضاً ، كما يربحون ثقة الذين يوافونهم مصطافين ، او روواداً ، او نزلاء كراما .

واخيرا نتمنى لكل لبناني ما تمناه الاب لويس شيخو اليسوعي ، ان يكون خلق ابناء هذا الجيــل ما نقله اليهم في كتابه مجاني الادب ، (١) من كلمة الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه في وصف اهل الايمان « شرورهم مأمونــة ونفوسهم عفيفة ، وهم علماء حلماء اتقياء » .



(١) ٣ _ ١٦

احقاد واغاظة وسباب

اذا تتبعنا سير الشعوب ، وتطوراتها في سلم الحضارة والرقي فانا نجد الاحقاد والاغاظة والسباب ، لا تعــدو الاوساط المنحطة الوضيعة ، سواء أكـان الشعب مثقفا او جاهلا ، اذ ليس من المعقول ، ان يحقد الوطني المثقف على مواطنه ، ويغيظه ويسبه وهو لا يجهل بحكم وطنيته وثقافته ، انه يحقد على نفسه ويغيظها ويسبها . ومحال ان يبلغ الموت الاجتماعي ، بشعب له اثاره من الثقافة الى درجة ان يقطع الوطني يده وهو لايدري ، ويقلع عينه وهو لا يحس . وينحر نفسه بيده وهو شامت بها ، هذا محال ، هذا محال .

والاحقاد والاغاظة والسباب ، تحرمها الاديان السماوية ، ولا ترضى لمعتنقيها ان يتلوثوا بهــا ، بل انذرت المرضى الملوثين بسوء المصير ، اذا هم اعرضوا عن التماس التطهير ، والشفاء ، بواسطة اتباع نصوصها المقدسة .

ولما كان اللبنانيون جميعا متدينين ، سواء كانوا من اهل المذاهب المسيحية ، او المذاهب الاسلامية ، بحكم سكناهم في البلاد المقدسة ، لم نجد الحاقدين الوضعاء ذوي الالسنــة البذيئة الا في الاوساط الجاهلة العارية من الدين .

ولاجل معالجة هذا الداء من الجسم اللبناني ، وتطهيره

منه قبل انتشار عدواه ، واستطارة اوبئته الفتاكة ، نقدم الدواء الشافي المقدس ، كما هو في النصوص الدينية .

اجل تحـــرم المسيحية والاسلام ، الاحقاد والاغاظة والسباب كل التحريم ، فهذا سيدنا المسيح ، لا يرى النجاسة تبلغ في شيء ما تبلغه الكلمات البذيئة ، التي تخرج من فم الانسان الاحمق ، ويدان بهـــا : « اقول لكم ، ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين ، لانك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (١) بل يرى النجاسة الحقيقة ، القتالة للفرد والجماعة ، انما تخـــرج مـــن قلوب الناس وافـــكارهم الشريرة فيقـــول « من الداخل من قلوب الناس ، تخرج الافكار الشرير : زنى ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الانسان » (٢) على ان سيدنا المسيح ، انذر الذين يعلنون حبه ، ولا يفعلون ما يوصيهم به ، منكرا عليهم ذلك الحب المزعوم بقوله « انتم احبائي ان فعلتم وصاياي » (٣) واعتبر ما جاء به من الخير والصلاح ، فيه ملح اصلاح النفوس المريضة بالشرور والاحقاد والخصومات لذلك قال

---

(١) مت ١٢ ـ ٣٦

(٢) مر ٩ ـ ٢١

(٣) يو ٥ ـ ١٤

« ليكن لكم في انفسكم ملح ، وسالموا بعضكم بعضا » (١)

وهكذا الاسلام يضرب الله المثل بالكلمة الطيبة ، ويجعلها كشجرة الخلود الطيبة : « الم تر كيف ضرب الله مثلا ، كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت ، وفرعها في السماء » (٢) اما الكلمة الخبيثة فهي تجتث من اصل منبتها ، وتصبح حطبا ، توقد نيران الفتن بين الجماعات والافراد ، ولا تستقر على حال « ومثل كلمة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار » (٣) .

وهذا الامر الالهي الموجه الى الناس جميعا ، الذي يهدف الى ايثار الكلام الطيب ، كلام الخير والهدى والمنفعة ، وتجنب كلام الشر والاضلال والضرر ، تراه متجليا في هذه الآية الكريمة « وقولوا للناس حسنا » (٤) بل ترى الامر من الله مؤكدا لخاتم الرسل ان يامر عباد الله في الارض ان لا يتكلموا الا بالتي هي احسن ، لان الشيطان يتخذ من الكلام السيء شعلا يثير بها الخصومات والعداوات « وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » (٥) وقول خاتم الانبياء صلوات

---

(١) مر ٩—٤٩

(٢و٣) ابراهيم ٢٤و٢٦

(٤) البقرة ٨٣

(٥) الاسرار ٥٣

الله عليه وآله : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً او ليصمت » إذن ، فالاقتصار على كلام الخـــير ، والانصراف عن كلام الشر ، هو مـــا جاءت به الاديان السماويه ليعيش الناس في الارض احبابا متآخين .

ولا ريب ان الذين يخالفون امر الله وامر رسله وامر مثل الانسانية العليا ، ويأخذون في اذاعة الشر والبذاءة ، إنما هم اشرار آثمون يجب الضرب على ايديهم ، وكم افواههم ، وانك تجد الوحي لايقتصر على الامر بايثار كلام الخير ، واجتناب كلام الشر ، بل يأمر ان ندفع قبح الشر بحسن الخير ، فاذا الذي نصب نفسه عدوا لك ، حماقة منـــه وجهلاً ، ينقلب في مودته الصادقة ، اخا كريما « ولانستوي الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة ، كأنه ولي حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ، واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » (١) وكم يخبرنا التاريخ عن جماعات تخلت عن وثنياتهـــا واتبعت الاديان السماوية ، بفضل الكلام الطيب البار .

على اننا اذا رأينا من ينفخ فيه الشيطان ويتطاول على قداسة الايمان بالله تعالى ، وقداسة الرسل ، صلوات الله عليهم وقداسة حوارييهم واصحابهم ، فان الله لم يأمرنا ان نقابله

---

(١) فصلت ٣٣

بالمثل لئلا تخرج من السنتنا كلمات الشر ، بل طلب الينا الاعراض والاجتناب ما دام يتكلم في ذلك ، فاذا خاض في حديث غيره عدنا اليه ، واخذنا نرشده بحكمة ونصح ومودة : « واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، واما ينسيك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » (١)

وكم يدخل الكلام السيء وتناقله هنا وهناك ، من تقول وافتئات ، وزور وافك ، مما يزرع الاحقاد ويرعرع الخصومات ، ويوقد النيران ، واذا كنا نعلم ان المتكلم بالشر يستحق اللعنة من الله فناقله يستحق الف لعنة ، اذ الشرارة لو تركت في موطنها ، خمدت وتلاشت ، ولكنها اذا نقلت واتصلت بالهشيم ، اشعلت النيران وسببت الحرائق وكان من نتيجة ذلك الدمار والخراب .

وقد رصد رجال الدين المتعمقون والشباب الواعي المثقف اليوم ، كل معارفهم وثباتهم واخلاصهم ، لمناهضة العابثين بعقلية السذج ، الخادعين الناس عن الحقائق رصدوا كل ذلك لمناهضة الذين يدينون بالأديان على حرف ويتخذونها تجارة للدنيا , ولو مزقوا الشعب الواحد باسمها ، كما قال جبران خليل جبران :

كأنما الدين ضرب من متاجرهم
ان واظبوا ربحوا واهملوا خسروا

---

(١) الانعام ٦٨

وستر الجرائم والنفاق باسم الدين ، هو شان الاخوان الكذبة ، والمنافقين الذين يندسون في الاديان كالافاعي ، منذ اقدم الازمان ، فها نحن اولاء ، نرى ان قوما في زمن خاتم الانبياء ﷺ ، سرقوا درعـــا واودعوها رهينة عند يهودي في المدينة ، وحـــين كشف الامر اتهموا اليهودي ولستروا باختلاف العقيدة ، وظنـوا ان الشهادة الـــكاذبة لاتهامه بالسرقة لا باس بها في الاسلام ، اذ فيها انقاذ مسلم والقاء التبعة على يهودي ؟ وهكذا ادوا الشهادة امام رسول الله وكاد الاتهام يتم بموجب الشهادة المزورة ، ويدان اليهودي بالسرقة . ولكـــن الله جلت قـــدرته ، الذي ما انزل وحيه على سيدنا موسى وسيدنا المسيح وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم ، ليظلم الناس بعضهم بعضا ، أو ليتحاقدوا او يتحاجزوا ، اعلن في ايات بينات ان الذين اتهموا اليهودي ، هم قوم خائنون لله ولرسوله ، وللانسانية وعدالة الوحي الالهي ، الذي ما انزله الله الا لاسعاد الجميع وحياة الجميـــع وخير الجميـــع ، وهكذا كشف الله لرسوله حقيقة المؤامرة الخائنة ، ليدان الخائنون فحسب ايا كانوا « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما » (١) . . .

---

(١) النساء ١٠٥ اي اطلب من الله المغفرة لهؤلاء الذين ارتكبوا

وايقاظا لوعي افراد الشعب اللبناني الاجتماعي السامي ، نقدم هذه القصة التي كانت مظاهرها وظروفها بين ايدينا :

مررنا يوما في عهـــد العميد الفرنسي المسيو بونسو في شارع « النورية » ببيروت ، واذا نحن نرى جماعة من عوام الشعب ، متجمهرين وفي يدهم مجلة « المكشوف » ، وهم في سكرة الغضب وثوران العاطفة . وحينما ابصرونا صرخوا بنا : هلموا هلموا ، والذي يمسك المجلة يشير باصبعيه الى سطور بذيئة ، لا تليق نسبتها الى رجل دين صغير ، فضلا عن ولي او قديس ، فكيف بنسبتها الى خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ ! ! . وحين اتممنا تلاوة الصفحة التي يشير اليها ، صرخ الجميع ، وفيهم الذين سالت مدامعهم المـــا وغيظا ، وقد اعدوا مسدساتهم وسكاكينهم للذهاب الى دار «المكشوف» فطلبنا اليهم التريث لنقرا الكلمة من اولهـــا الى آخرها ، فاذا هي تشرح الادوار الثلاث ، التي مرت على اوروبا في فهم الاسلام : الدور الاول يشرح العصبية والجهل بواقع الاسلام جهلا مطبقا ، والدور الثاني خلط العـــلم بالجهل ومزج الحق بالباطل ، والدور الثالث يشرح العمل على تحرير المعرفة ، والاهتداء الى كنه الواقع . . . ولما شرعنا نقرا لهم الكلمات المنصفة التي قيلت في حق صاحب الرسالة ، صلى الله علية وآله وسلم وفي حق القرآن المجيد اشرقت وجوههم

_ جرما لا يليق بالمؤمن .

وانارت وقال الكثير منهم : لابد من الذهاب الى صاحب المكشوف لتقبيل يديه ! !

وهنا قلنا لهم : من هو الذي اراكم هذه المجلة ؟ فذكروا انه مر شخص مجهول ، واعطاها لصاحب هذا الحانوت وهو يشير الى محل الشتم ، ثم اقمى بسرعة ! فطلبنا اليهم أن ينظروه فلم يجدوه ! ثم ادركنا ان بينه وبين صاحب المكشوف خصومة ، فأراد ان يستغل الدين اشعالا للفتنة وايقاعاً بخصمه !

وهكذا تقع في الاوساط اللبنانية حوادث كثيرة من هذا اللون الاسود ، يقصد منها الاذى والاضرار والكيد تحاك لوجه الشيطان ، رغبة في الانتقام الشخصي فحسب . وشياطين الانس لايعدمون الوسائل الجهنمية المبتكرة التي بها يؤرثون الشر ويشعلون الفتن ، وإن جعلوا ابناء الشعب وقودها

اجل شياطين الانس لايعدمون الوسائل الجهنمية ، ومن منا لايذكر تلك النشرات او الكلمات التي يدسها بعض المفسدين باسم سواهم ، ليلقوا الفساد بين الناس .

ولم نلق قصة اشبه بالصاق الاوراق على الجدران ، او الكتابة عليها ، من قصة الاوراق التي وجدها في يوم الهندوس تملأ الطرق في مدينة « دلهي » تحذرهم من المسلمين وتنذرهم بأنهم اعدوا لهم العدد ، وهيئوا وسائل الغدر والكيد والفتك ،

والمسلمون مساكين لا يعلمون شيئاً مـــن ذلك ، ينامون في حجراتهم والاحلام الفتانة تتراوح بين اجفانهم ! وقد صدّق اولئك الهندوس تلك المفتريات واحبوا ان يهاجموا المسلمين قبل ان يؤخذوا على غرة ، فكانت صدمات وكانت ثورة ! ولولا قوة الجيش : واخماد تلك الفتن ببأسه ، ما كان يعلم الا الله ما كان يتم .

وهكذا ترى محبي الفتنة والاثارة ، اذا رأوا جماعة من اللبنانيين المسيحيين ، يريدون ان يؤسسوا جمعية لخير او ثقافة او اجتماع ... فسروا سعيهم هذا حالا ، بانه ضد المسلمين ، وكذلك تشرح كل جمعية اسلامية ، تؤسس لخير او مواساة او رفد او اغاثة او دعوة الى الله . لا حول ولا قوة الا بالله ، كأن الله لم يخلق هؤلاء الا لاغاظة بعضهم بعضاً ، واثارة الفتن والاحقاد بين الناس .

والخلاصة ، إنا نربأ بالشعب اللبناني المجيد ، ان يعبث به المفسدون المتهزون المستغلون ، الذين لايحملون الضمير الانساني ولا العنصر الكريم ، ولا الوجدان الطاهر ،ولاالتدين الصادق نربأ ، به ان يصدق كل ما يسمع ، اذ هناك حكومة ساهرة على الامن ومن ورائها شباب مثقف واع ، لا يخـــدع باثارة ، ولا يركن لفتنة .

الا فليعلم الشعب اللبناني ، ان الفتن يجب ان تخمـــد بدائرة الدستور ،وذلك بملاحقة مثيريها والضرب على ايديهم وحدهم ، لان كل دساتير العالم ، تقضي باعدام الاشخاص الذين يحاولون

اثارة الفتن بين مواطنيهم ، ناهيك بمسئوليات الآخرة .

ونحن اذا اخذنا نستقصي انبـاء المفسدين ، وكيفيات قصاصهم ، وما كتب عنهم المؤرخون للتحذير ، وجدنا حوادث كثيرة ، وإنا نذكر هنا قصة واحدة لتكون ذكرى وعظة .

استغل بعض مقاطعات الهنـد زعيمان اقطاعيان ، كل منهما يكيد للآخر ويجمع حوله السذج والرعاع ، لاستغلالهم للاثراء على حساب دمائهم ، وخراب بيوتهم ، واخذ كل منهما يدفع ابناء الشعب لقتال جماعـة الآخر . واخيراً اجتمع المستغلون المستنزفون ، وقرروا شطر الوطن بينهمـا حقناً للدماء !! ، ووضعوا حجراً بين الشطرين ليلتزم كل زعيم حدوده واقسم الزعيمان بكل ما لديهما من مقدسات ، ان لا يتجاوز احدهما ذاك الحجر . ولكن احدهما اخذ يؤلب الناس ، ويستغل ضمائر الاقوياء بمال الضعفاء ، ويهدد الضعفاء ببطش الاقوياء ، ثم تقدم زاحفا على الحـدود ، فذكره الناس بالاقسام المحرجة فقال :

نحن لا نريد ان نتخطا الحجـر !! ثم مد يده فحمله وسار به امام الجموع ، ليوهمهم انه لا يزال وراء الحدود والحجر امامه ، تلبيساً منه واحتيالا .

وهكذا الانسان المستغل في كل اعماله ، يـبرر جرائمه وآثامه ، ليقتل الحق باسم الحق ، ويهدم الخير باسم الخير ، ويقضي على الوطن باسم محبة ابنائه . ويحارب الله باسم شرع الله

الانحلال والتعارف

يتخوف بعض الكاتبين ، من التعارف الانساني العام جداً ، لا لانهم ينكرون انسانيتهم ، ولكن خوفا من انحلال جامعتهم الخاصة . وهذه نظرية خاطئة ، من الوجهة التربوية ؛ فها هم اولاء علماء النفس والاجتماع ، تتبعوا دراسات الجماعات الاسرائيلية ، الموزعة في امم العالم منذ ثلاثين قرنا ، فالفوهم محتفظين بكل خصائص جامعتهم ، ولم يضرهم شيئا مكثهم القرون الطوال بين الامم .

ولو ان التعارف الانساني يفضي الى الذوبان والانحلال ، لما نادى الله به في خاتم الوحي الالهي : « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وهل غير التعارف كان القصد من عقد معاهدة الحديبية ، التي عقدها رسول الله ﷺ ، بين الوثنيين والمسلمين في جزيرة العرب .

على ان المجموعة النفسية ، متى تغلغلت في اعماقها روحيات الآباء والاجداد ووراثاتها ، وامتزجت بها على مدا القرون والاجيال ، كان من العسير جداً انحلالها ، وآية ذلك ما نجده في الجماعات الوثنية ، التي تشاهد معجزات

الوحي الالهي الباهرة ، ودلائلها العلمية الناطقة ، انـه من الله خالق هذا الوجود ، ومع ذلك تجمد حيال وثنياتها ، غير مكترثة به ، هذا اذا لم تقاومه حمقا وجهلا .

وفي اعتقادنا ان الذين يتخوفون ، هـم الذين يحسبون الاديان نسجت من خيوط العنكبوت ، تطير بها شعاعا لمسة كف ، او هبة نسمة ، ونسوا ان الانسان في هذه الحياة ، كالمثل في مسرحه ، يقوم بادواره المختلفة التي يتلمس من ورائها العيش والربح ، وبعد تمثيلها نلفيه هو هو .

اذن فتعارف ابنـاء الانسانية ، ومودة بعضهم بعضا وتبادل الثقة لا تضر العقائـد الخاصة شيئا ، وفي الوقت نفسه لا تضر الحقيقة الانسانية الجامعة ، فالمسيحي يظل مسيحيا والمسلم مسلما واليهودي يهوديا ، ولا يضرهم اجتماعهم في اخص صفات الإنسانية من تفاهم ، لأن تلك الصفات هي القسم المشترك العام الذي هو اصيل في اعماق النفوس ، كما فطر الله النـاس عليها ، وكـما هو اصيل في تعاليـم الأديان السماوية .

اذن فمخاوف الانحلال والذوبان ، امراض رجعية وثنية مأتاها مغاور الوراثات الوحشية ، وكهوف التقاليد المتحاجزة المتباغضة ، ومظاهر الأحتفاظ بالشخصيات الجوفاء ، التي لا تدل الا على رعونة النفس ، وقلة الضمير الانساني ، وفقد الروح الاجتماعية ، والجهل بمثل الإنسانية العليا ، التي جاء بها رسل الله .

والآن نعرض الحقيقة المجردة التي تكشف لنا ان التفاهم

الإنساني العام ، وطلب السعادة والخير للجميع ، هو فريضة في كل الأديان السماوية ، ذلك ان لكل دين دائرة خاصة ، تضم جميع معتنقيه ، على اختلاف مذاهبهم ، ودائرة عامة تضم الانسانية جمعاء ، تلك الدائرة العامة الكائنة في كل دين هي التي تفرض التفاهم الانساني العام ، وحسن العشرة والمودة وصدق الثقة . ومن الحماقة الزعم بان اتباعها ، يخرج من دائرة الدين الخاصة ولو كانت تخرج من الدائرة الخاصة حقا ، لما اتى بها الدين بتاتا ، اذ يستحيل ان يأتي الدين بما يخرج معتنقيه منه .

وجهل هذه الدوائر الانسانية الاجتماعية العامة ، هو الذي يجعل البعض يعتقدها سبب الانحلال حين تبلغه ، على ان معرفة هذه الدوائر ومعرفة القدر المشترك ، كافية لأن توحد بين ابناء الكرة الارضية جمعاء ، فضلا عن ابناء الشعب اللبناني ، الذين يجمعهم ـ فوق هذه الدوائر ، والقدر المشترك ـ الوطنية واللغة والارومة القبلية ، المتحدرة من جزيرة العرب ، منذ الفوج الكنعاني الاول الى اليوم ، ثم المصالح المشتركة والجوار والثقافة والتربية و ....

ونريد هنا ان نلفت نظر قرائنا ، ان الايمان بالدوائر العامة والتقيـــد بما فيها ، وكذلك القـــدر المشترك ، لا يمس الايمان بالدائرة الدينية الخاصة لدى اهلها من اي وجه من الوجوه ، بل يزيدها جمالا وروعة .

على ان من الخطيئة ان نظن ان المسلم الذي يـــذهب

الى المسجد ويؤدي فيه فرائضه ، ويعتنق مثل القرآن العليا ، يضيع كل ذلك اذا صافح مواطنه المسيحي وبرّه وعامله بالقسط ، وخالقه بالخلق الحسن ، وان المسيحي الذي يذهب الى الكنيسة ، مؤتسياً بآداب سيدنا المسيح ، يضيع كل ذلك ، اذا التقى بمواطنه المسلم واعتبره اخاً في الانسانية والوطنية والمنافع العامة ، وفي اصل الايمان بالله تعالى ، وتعظيم سيدنا المسيح ووالدته البتول . والمقصود هنا ان صلاتنا بدائرة الدين العامة ، لا تمس الدائرة الخاصة بحال ، ولا تناكرها او تجافيها ، لأنها منها . وكذلك الشأن في الاستمساك بالقدر المشترك ، لأن استمساك المسيحي بعقيدة الايمان بوجود الله واليوم الآخر ؛ ومجيء سيدنا المسيح ، والصدق والأمانة والصدقة وقبول المعذرة والتساهل ، كما هو بين يديه في المسيحية ، لا يضر المسلم في شيء ، بل مما يؤكد له ان الاديان جميعاً تهدف لخير الانسانية ، وكذلك المسلم اذا اعتقد بكل ذلك كما هو بين يديه في الاسلام ، لا يضير المسيحي في شيء . وان لم يكن الأمر كذلك ، كان يجب على المسلم او المسيحي ان يترك الايمان بوجود الله او يجافي الصدق ، او يحارب الامانة ، اذا كان في دين كل منهما ما يشابه ذلك ! ! وحينئذ تنقلب الحقائق ، وتعكس الاوضاع وتُتخذ من النواحي الجامعة الموحدة ، وسائل التفريق والافساد والشر ، وفي ذلك غضب الله ومقته وسخطه . وكل الذي نهدف اليه في عرضنا ـ بحثي الدوائر العامة والقدر

المشترك ـ هو ان نعلن كذب الذين يلقون تبعة صغار انفسهم ،ووحشيةاحقادهم.وسوءنواياهم،وانحطاطهم الاجتماعي وتأخرهم العام ، على المسيحية والاسلام ، بهتاناً وكفراً .

والخلاصة : ان الدوائر العامة والقدر المشترك بين الأديان السماوية ، يكفي لأن يوحد بين اهلها وهم اذا حققوا هاتين الناحيتين الجوهريتين كانوا اخوة على كلا الأمرين ، وفي الوقت نفسه استطاعوا ان يزيحوا عن انفسهم واديانهم وفروعها ، مهاترات الملحدين،وانتقادالاجانب،وحملات الماديين.الذين يتهمون رجال الدين بالرجعية والأنانية، ويلقون عليهم مسئولية التمزيق والانقسامات ، وسوء التفاهم والأحقاد .

والواقع ان اهل الأديان السماوية ، اذا تصافحوا وتعارفوا محال ان ينحل فريق في فريق ، واذا لم يتفاهموا حسب الأوامر الدينية ، انحلوا جميعاً في وثنية الالحاد المتدابرة المتقاطعة. وسقطوا في لهيب الذرة الساحقة .

اجل ان الانحلال لا يأتي من التعارف الانساني والتفاهم وانما يأتي من البعد عن تعاليم الدين ، وعدم فهمها فهماً صحيحاً ، وشتان بين من يذوب في وثنية الالحاد ، والمذاهب المادية الهدامة ، وبين من يظل باستمساكه بدينه السماوي ، حافظاً لشخصيته المعترفة بمثل الانسانية العليا ، التي هي عين دينه السماوي . على ان الواقع ، لكل انسان طرف انحلال وطرف تماسك ، فالبشر جميعا منحلون في الانسانية ، ولأجل هذا الانحلال العام انزل الله الوحي وارسل الرسل ، اذ هو

قوام السلام والسعادة ، واما طرف التماسك فهـو يتمثل احيانا في القومية او الدين ، على ان هذا التماسك هو سبيل العمل المتواصل في المجهود الانساني العام ، واما الانحلال بمعنى إضاعة الدين الاسلامي الذي يخافه المسلمون ، او المسيحي الذي يخافه المسيحيون ، فهذا امر ليس في مقدور البشر ، لأن الكتب المقدسة الدينية تنص ان الأديان باقية الى آخر يوم في الدنيا ، وليس في مقـدور الناس جميعا ، ولو آزرهم الجن ان يزيلوها ، لانها ارادة الله ، ولن يبطل ارادته في الكون احد ، ما بنى الله ما له من هادم .

والواقع ان الأديان لن تزول ابداً ، لأن طبائع البشر مختلفة ، وبواعث هذا الاختلاف ، مركزة في اصل الفطرة ، وقد دلت عليه علوم الاجتماع والنفس ، وهو لا يوجب خصومة او تنافراً ، اذا شمـل الناس التسامح والتفاهم ، ولاحظوا الدوائر العامة والقدر المشترك . والآيات التي تدل على اختلاف الناس في استمساكهم بمختلف الأديان الى يوم القيامة ، لا تحصى كثرة ، في نصوص كتب اهل الأديان (١)



(١) راجع هود ١١٩ ومت ١٥ـ١٨ لاجل فهم ذلك

الايمان الصادق والفهم الصحيح

لو ان كل من انتسب الى دين ما ؛ يملك ايمانا صادقا ، وفهما صحيحا ، لما وقعت خصومات او ثورات او حروب باسم الدين ، سواء بين اهل الدين الواحد ، او بين اهل الأديان المختلفة . لأن الذين يملكون الفهم الصحيح ، ويفقدون الايمان الصادق ، من اهل الاديان ، هم الذين يتخذون من فهمهم الخاص لنصوص الأديان المقدسة ، طرقاً معوجة ، واساليب ملتوية ، ينفذون منها الى مآربهم الدنيئة ، وشهواتهم الشيطانية ، ولو سالت الدماء ، واختلفت العباد ، وحصل الفساد.

وهؤلاء الذين يفقدون الايمان الصادق ، ويفهمون الفهم الصحيح ، هم موجودون في كل الأديان ، ومعروفون في الانجيل بالاخوة الكذبة ، وفي القرآن بالمنافقين وهم يتصرفون تصرفاشاذاً بعيداً ، في مفاهيم النصوص المقدسة ، اذ يتخذون من رموزها ومجازاتها ومتشابهاتها ، مذاهب يسترون ورائها مبادئهم الهدامة ، ويقودون باحتيالهم الجماعات الساذجة ، التي تؤمن الايمان الصادق وتفقد الفهم الصحيح ، ويسخرونها لانفسهم ، ويشرّقون بها ويغرّبون ، حيثما ارادوا ، ابتغاء الفتنة والاستغلال والامتصاص ، ولولا ان الله يقيض لدينه الذي يوحيه الى انبيائه في كل عصر ، رجالا ابراراً انسانيين وعلماء مفكرين عاملين ، يجمعون بين الايمان الصادق والفهم الصحيح ، لظل ما في الاديان السماوية من كنوز التسامح

والسلام والخير العام دفيناً ، ولما رأينا بين اهل الاديان ، من يخلص للجميع ، وينتصر للمصلحة العامة ، ويضحي بكل مصالحه الخاصة في سبيلها ، اي من يرضى بقليل الدنيا في سبيل كثير الخير ، الذي يقدمه للناس .

ها نحن اولاء نستعرض ، تلاميذ سيدنا المسيح ، صلوات الله وسلامه عليه ، امثال بطرس ويوحنا ويعقوب وبرنابا ، وسائر الاثني عشرة والسبعين ، الذين اثنى عليهم القرآن (١) والانجيل ، فنجدهم قدموا اموالهم في سبيل الله (٢) وتحملوا المصائب والآلام ، والسبب في ذلك انهم فهموا تعاليم سيدنا المسيح فهماً صحيحاً ، وآمنوا بها ايماناً صادقاً ، فاجرى الله على ايديهم الخير الكثير للعباد ، وضحوا بكل شيء ، بل بانفسهم في سبيل اجراء ذلك الخير . وهذا شأن تلاميذ سيدنا محمد ﷺ ، امثال ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابي عبيدة وابي ذر وسعد بن معاذ الخزرجي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي ، وسواهم كثيرون ممن ذكروا في كتاب الاصابة ، وكل المهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ، واثنى الله عليهم في محكم آياته ورضي عنهم ؛ ورضوا عنه (٣) .

---

(١) المائدة ١١١ وآل عمران ٥٢ والصف ١٤

(٢) راجع سفر الاعمال ٤ـ٣٥ ، ولكثرة النصوص عدلنا عن ذكرها مع الاشارة الى مراجعها .

(٣) سورة الفتح ١٨ .

وكم من فتن وارزاء ، تنزل على الانسانية ، حين يكون الايمان الصادق بغير الفهم الصحيح ، او يكون الفهم الصحيح بغير الايمان الصادق . فهذا يهوذا الاسخريوطي ويهوذا الجليلي ، وسيمون وباريشوع ... وهذا عبد الله ابن ابي ابن سلول ، ومسيلمة الكذاب ، والاسود العنسي وسجاح . كانوا من ذوي الفهم الصحيح ، ولكنهم فقدوا الايمان الصادق ، فرأينا الاسخريوطي وابن ابي رئيسي المنافقين ، ذاك في المسيحية ، وهذا في الاسلام ، ورأينا ثوداس ويهوذا وسيمون وباريشوع ومسيلمة والعنسي وسجاح ، ... يعلنون النبوة افتراء وكذبا ، بكل ما اوتوا من كيد ودهاء (١) حتى تمكنوا من البسطاء السذج ، الذين يفقدون الفهم الصحيح وكم من فتن وارزاء وقعت من جراء ذلك ، وذهب ضحيتها كثير من الابرياء الرعاع اتباع كل ناعق .

وها نحن اولاء نجمل لقرائنا الاحداث التي جرها فقد احد هذين الركنين الاساسيين — الايمان الصادق ، والفهم الصحيح — اللذين هما قوام كل اصلاح ديني عام .

اجل ، يكفي القراء ان يعلموا ان شعل الاحقاد والخصومات استمرت بين الاسرائيليين ثمانية قرون (٢) من

---

(١) الرسالة الكاذبة تعلن ولا تستمر ، وقد حققناهذا البحث في كتابنا « دين ابراهيم » ص ٢٧ وهناك كتاب جامع اسمه « المتألهون والمتنبئون » كفانا عن الافاضة والبحث فليراجع

(٢) من القرن العاشر قبل الميلاد للقرن الثاني قبله

اجل سواد عيون الصدّوقيين الاذكياء الذين يملكون الفهم الصحيح ، ويفقدون الايمان الصادق ، الى درجة انهم انكروا البعث نفسه (١) ، الذي عليه تقوم الاديان . — ومن اجل سواد عيون الفرّيسيين الاغبياء الذين يملكون الايمان الصادق المتشدد ، ويفقدون الفهم الصحيح ، الى درجة انهم انكروا على الدجاجة التي تشتغل يوم السبت وتبيض ، وكذبوا طواحين الكنعانيين المشتغلة في يوم السبت قائلين : ان الماء يوم السبت لا يجري ، وان سمعوا ضجة العمل وشاهدوا العمال . بل حين جاء سيدنا المسيح انتقدوا عليه بشدة ، لانهم شاهدوا بعض تلاميذه مرة يأكلون بأيد غير مغسولة (٢) وياليت الخصومات والفتن التي كانت بين الفريقين ، اقتصرت على القلم واللسان ، ولم تصل الى السيف والسنان ، وبالحري حين تمذهب بالصدوقية الملك « هركانوس » بعد ان كان فريسيا (٤) واغرب الحوادث التاريخية ، ان « تيطس الروماني » حين كان يحاصر اليهود في القدس عام ٧٠ م ، ويهدم مقدساتهم ، كانت الخصومة بينهم حول الصدوقية والفريسية ، على اشد ما تكون قوة وعنفا (٤)

ونحن نعتقد ان مجيء سيدنا المسيح ، حقق هذين الركنين في انفس اتباعه ، ولكن حين تطاولت العصور باختلافاتها

---

(١) مت ٢٢ـ٢٣ولو٢٠ ـ٢٧ (٢) مت ١٥ـ٢وقداشار الى هذين الفريقين العهد الجديد في مواطن كثيرة (٣)راجع تاريخ يوسيفوس ١٠٨ وكان هذا الملك في اواخر القرن الثالث قبل المسيح.
(٤) تاريخ يوسيفوس ص ١١٠

ومآربها وغاياتها الكثيرة ، وانتشر الجهل بين السواد الاعظم حتى اصبح اكثرهم يملك الايمان الصادق ، ويفقدالفهم الصحيح ، انتشر بينهم كما قال القديس بولس : « الاخوة الكذبة » (١) الذين يملكون الفهم الصحيح ، ويفقدون الايمان الصادق، فاثاروا الحروب باسم الدين ، بين الكاثوليك والاريوسيين ، وبين الاريوسيين والارثوذكس ، وبين الارثوذكس واليعاقبة والنساطرة ، وبين بعض هؤلاء والموارنة كما مر ، بل ان الحرب الجدلية ، بين اللوثريين وغيرهم ، لا تزال الى اليوم . وحسبنا ان نرى الفيلسوف الفرنسي « باسكال » حين دفع عن نفسه تهمة الزندقة التي قُذف بها قال : « هل رأيتموني ادخل كنيسة البروتستانت ؟ » (٢) وقل مثل ذلك في حروب المذاهب بين المسلمين ، التي وقعت باسم الدين ، كفتن الخوارج ، وحروب الترك والايرانيين ، والايرانيين والافغان ، والترك وجزيرة العرب ، من جراء الزيدية والوهابية ... ولدى دراستنا البواعث الحقيقية لجميع هذه الاحداث ، في المسيحية والاسلام ، وجدناها واحدة ، لا ثاني لها ، تلك هي عدم الفهم الصحيح او الايمان الصادق .

والكلمة التي نرجو ان تظل في انفس قرائنا ، من هذا الفصل ، هي ان يدركوا ، ان بلاء الانسانية ، منذ اقدم العصور الى اليوم ، لا يرجع الى الاديان ابداً ، كما يذيع ذلك الملحدون والمجدفون في هذا العصر ، وانما يرجع الى عدم الايمان الصادق او الفهم الصحيح .

---

(١) غل ٢ — ٤

(٢) راجع الريفيات لباسكال، بالفرنسية طبع باريس عام ١٩٣٣

تنبيهات

١ ــ كنا نود ان نثبت جدول المراجـع هنا ، ولكن رأيناها جاوزت المآت ، فخشينا ان يظن بنـا المبالغة ، فوضعنا اسم الكتاب ورقم الصفحة والجزء عقب كل قول ، لتسهل العودة الى المرجع نفسه .



الفهرس



ثمن ال

